فِكْرٌ وَفن



٤


إن الله جميل يحب الجمال
نسيب مكارم ١٩٦٤

WAHRLICH, GOTT IST SCHÖN

UND LIEBT DIE SCHÖNHEIT.

AUSSPRUCH DES PROPHETEN MUHAMMAD



العدد الرابع ١٩٦٤ العام الثانى

يصدرها: البرت تايلا

الفهرست

يقدم الناشر ودار النشر شكرهم لكل من شرفهم بمعونته فى تحضير هذه المجموعة
وبدون مساعدتهم لكان من المحال ان تحصل هذه المجموعة على شكلها الحالى الجميل
ننشدالقراء الكرام ان يداوموا فى ارسال معاونتهم وآرائهم القيمة ونحن لهم من الشاكرين

ترجمات: Prof. Dr. Dr. Annemarie Schimmel, Bonn; Raymond Azar, Bonn; Prof. Mahmud Dessouki, Kairo; Dr. Muhammad Ali Hachicho, Köln; Dr. Arnold Hottinger, Beirut; Magdi Youssef, Köln.

Nr. 4 1964 2. Jahr

FIKRUN WA FANN

Herausgeber: Albert Theile

الفهرست

صورة الغلاف الاول:
احد بزاة الملك جهانكير المغولى وقد رسمه الاستاذ منصور الشهير بتصوير البزاة حوالى سنة ١٦٣٠. وهذه اللوحة محفوظة فى المتحف الاسلامى ببرلين.

صورة الغلاف الثاني:
احد بزاة صاحب القصر فازانرى فى جوار فولدا، وقد رسمه الاستاذ تيشباين سنة ١٧٨٣.
تصوير: هانس ريتسلاف، تان Hans Retzlaff, Tann/Rhön

دار النشر: Übersee-Verlag, Hamburg 36, Neue Rabenstr. 28, Bundesrepublik Deutschland

تظهر المجلة ''فكر وفن'' العربية موقتا مرتين فى السنة – الاشتراك: ١٢ مارك ألمانى. – النسخة الواحدة: ٧,٥٠ مارك ألمانى؛ ثمن الاشتراك المخفض للطلبة: ٣ مارك المانى، النسخة الواحدة: ماركان. – تقدم طلبات الاشتراك إلى دار النشر

تصنع الكليشيهات: Chemiegraphische Kunstanstalt Friedrich Heitgres, Hamburg

الطباعة: Druck: J. J. Augustin, Buchdruckerei, Glückstadt ·

ادارة التحرير: Adresse des Herausgebers: Albert Theile, Unterägeri, Zug, Switzerland

شروط السلام

مقتطفات من خطاب العالم كارل فريدرش فون ڤايتز يكر بمناسبة منحه جائزة السلام الخاصة بمؤسسة ناشرى الكتب الألمانية فى كنيسة القديس بولس فى فرانكفورت .

أريد أن أتحدث عن الشروط العامة التى لابد من اعتبارها عند اصدار أى قرار مفرد معين . وهناك عاملان يحددان إلى درجة كبيرة ردود الفعل السياسية التى تشاهد علانية ، وهما : الخمول ، والعاطفة العمياء . ويقع كل منهما فى الخطأ نفسه باستغنائه عن التفكير . إن كل من يتقدم من المجتمع العام باقتراحات حصيفة يدرك بمرارة أن النقد ، وكذلك التأييد فى كثير من الأحيان ، يظلان متعلقين بتفاصيل لا يمكن الحكم عليها إلا على اساس صورة لمجموع الوضع العالمى . وهذا الوضع العالمى معقد بحيث يدفع بتفكيرنا إلى مواجهة مشكلات عسيرة . وسأتحدث عن هذه المشكلات بالتبسيط . فأرجو ألا يغيب عن بالكم من وراء النبرة الباردة التى تسود تحليلى بأن هذا التحليل إنما يهدف إلى التمكن من دفع خطوات اكثر ثباتاً فى الطريق الحقيقى إلى السلام .

مبادىء ثلاثة

إن موضوع حديثى إذن هو شروط السلام العالمى . وعند تأمل هذه الشروط لا بد من التمييز بين عدة مهمات مختلفة . فهناك ما يشبه عمل هيئة أركان عامة سياسية ، تقوم بتخطيط «استراتيجية لضمان السلام» . ولابد لهذا العمل أن يخضع للتفاصيل . ويتم هذا التخطيط على الأساس القائم لتكوين العالم الحاضر ولإمكانيات عالم الغد . والتفكير بهذا التكوين وهذه الإمكانيات جزء لا يتجزأ من مهنتى ؛ ولذا فانى اود الحديث عن هذه الأمور . وسأبدأ بثلاثة مبادىء .

١ ـ ان السلام العالمى ضرورى .
٢ ـ إن السلام العالمى ليس بالعصر الذهبى .
٣ ـ إن السلام العالمى يتطلب منا بذل جهد خلقى فائق للعادة .

إن هذه المبادئ تكاد تبدو لى اليوم أمراً بديهياً . ولكننا لو اعتبرناها بجد ، فاننا سنستنتج منها الشئ الكثير . ولذا فانى سأكررها مع بضع جمل توضيحية :

١ ـ إن السلام العالمى ضرورى . لا بل نكاد نقول : إن السلام العالمى أمر لا مناص منه . فهو الشرط الحيوى للعصر التكنيكى . وبالقدر الذى يبلغه التوقع البشرى ،فسيكون من الواجب أن نقول : إننا سنعيش فى وضع يستحق اسم السلام العالمى ، أو اننا لن نعيش أبداً .

٢ ـ إن السلام العالمى ليس بالعصر الذهبى . إذ ليس القضاء على الخلافات بل القضاء على نمط معين من نتائج هذه الخلافات هو الذى يوطد سلام العالم التكنيكى الذى لا مناص منه . ومن الممكن جداً أن يصبح هذا السلام العالمى عصراً من أشد عصور التاريخ البشرى ظلاماً . وقد يكون السبيل إليه حرباً عالمية أخيرة أو انقلاباً دموياً ، وقد يكون شكله نظاماً د يكتاتوريا لا مفر منه . ومع ذلك فهو ضرورة لابد منها .

٣ ـ ولهذا السبب نفسه فان السلام العالمى يتطلب منا جهداً خلقياً فائقاً للعادة . وهو شرطنا الحيوى ، ولكنه لا يعم من تلقاء نفسه ، كما أنه لا يعم من تلقاء نفسه بشكل صحيح مرض . فمنذ وجدت البشرية لم يوجد ، إلى حد علمنا ، سلام عالمى ؛



ويلي باومايسر (١٨٨٩ الى ١٩٥٥): فانوسان (١٩٥٥) Willi Baumeister:

من كتاب Neue Kunst nach 1945: Malerei، دار نشر دو مون شاوبرج، كولونيا DuMont-Schauberg ١٩٥٨. نشكر دار النشر التى انعمت علينا بكليشه هذه اللوحة.

ولذا فان ما يطلب منا أمر لا مثيل له قط . ويعلمنا التاريخ البشرى مع ذلك أن مالا مثيل له فى الماضى ، كثيراً ما سيتحقق ذات يوم . ولا يحدث هذا الأمر دون بذل جهد فائق للعادة ؛ وإذا أريد للسلام أن يكون خليقاً بالكرامة الإنسانية ، فلابد أن يكون هذا الجهد خلقياً .

وانتقل الآن إلى التفاصيل ، وفى الوقت نفسه اكرر ، كشعارات رئيسية للحديث ، المبادئ المذكورة للمرة الثالثة مع إضافة تعليل لكل منها :

فالسلام العالمى ضرورى ، لأن عالم المستقبل المنظور هو عالم علم وتكنيك .

والسلام العالمى ليس بالعصر الذهبى ، بل إن اقتراب حلوله يبدو فى التحول التدريجى من السياسة الخارجية الحاضرة إلى سياسة داخلية عالمية .

والسلام العالمى يتطلب منا جهداً خلقياً فائقاً للعادة ، لأنه لابد لنا بأى حال من الأحوال من إنماء أخلاقية للحياة فى عالم التكنيك .

فكيف تبدو هذه العلاقات كل بمفردها ؟

١ — إن السلام العالمى ضرورى ، لأن عالم المستقبل المنظور هو عالم علم وتكنيك . فالى أى حد يكون هذا العالم تكنيكياً علمياً ؟ وإلى أى عمق تصل متطلباته ؟ وإلى أى مدى يجعل السلام ضرورياً ؟ إننى سأختار اكثر الامثلة بدائية وبساطة ، ولكنى سأحاول تتبعها إلى حد بعيد كاف .

إن التكنيك يغذينا . فماذا تناولتم اليوم من طعام وشراب على مائدة الإفطار ؟ إن المواد الغذائية والمكيفات تصنع بطرق عصرية آلية تكنيكية ، كما أنها بوسائل التكنيك الحديث تنقل الينا ، وتحفظ طازجة ، ثم تخبز وتطهى . ويكفى أن تعود بنا الذاكرة إلى ما قبل عشرين عاماً ، لندرك بوضوح ما يحدث لو توقفت هذه المعدات الآلية عن خدمتنا بدقة وإحكام . واليوم أصبح لابد للدول النامية من تصنيع نفسها واستخدام التكنيك فى زراعتها إذا أرادت أن تتخلص من الجوع الصارخ . إن ضمان قيام الاقتصاد العالمى بعمله دون توقف أو عقبات ، يشترط وجود السلام العالمى ؛ وهو لهذا السبب ذاته ضرورى لازم . وأما عدد المواليد فلن يتوقف لأسباب بيولوجية ، إذ أن معرفتنا بقوانين الحياة على الأقل لا تعطى الفرصة لمثل هذا الأمل المريح . إذ أن تحديد النسل سيتحقق إما كعادة سارية أو كنظام تفرضه الدولة . وهكذا فستدفع الضرورة بالانسان فى عالم العلم والتكنيك إلى التدخل فى طبيعته الإنسانية وفى ممارسة حرياته . ولن احاول هنا إيضاح النتائج الخلقية والسياسية الداخلية العالمية لهذه الحقائق .

ويتضح اليوم للجميع اكثر من أى وقت مضى أن ضرورة السلام تنبعث من خلال تطوير فنون السلاح . فالمعرفة تولد القوة . وقد فتحت الفيزياء الذرية ، التى نشأت من الإهتمام العلمى الخالص ، أمامنا إمكانية صناعة الأسلحة الذرية . وإن طبيعة الوضع السياسى والاجتماعى للانسانية بشكله الحاضر تدفع إلى استخدام مثل هذه الإمكانية ، بغض النظر عما إذا رفض البعض الاشتراك فى ذلك . ولا يمكن أن تمحى بعد اليوم إمكانية صناعة الأسلحة الحديثة فى حيث كونها معرفة علمية ؛ وبهذا المفهوم ، فان علينا أن نعيش مع القنبلة طيلة فترة المستقبل المنظور . ومع ذلك فقد يكون للرفض الصريح الظاهر للإشتراك فى ذلك معناه وأهميته . إذ يمكن أن يشير إلى ضرورة تغيير الوضع السياسى والإجتماعى للبشرية ، ذلك الوضع الذى جاء بهذا الخطر .

وتأتى بين حين وآخر مراحل من الاستقرار الذاتى المؤقت فى العملية التاريخية ، بحيث تبدو لنا كتدخل عناية إلهية رحيمة ، أو كفترات زمنية مؤقتة منحناها للفائدة والعمل . وهكذا فان خطر الحرب الكبرى لم يخفّ إلا بفضل معرفتنا للمفعول المدمر لهذه الأسلحة . ولكن الإجراءات الوقائية التى يتخذها الساسة البارزون هى فى حد ذاتها عمل يدل على عملية إدراك تحققت بالجهد والمشقة . إذ أن التوصل إلى مثل هذا الإدراك يحتاج إلى توسع فى بحث التفاصيل ، كما يحتاج كذلك إلى عمل الخبراء ، وإلى علم وتكنيك ، أو ، كما قلت فى بدء الحديث ، إلى ستراتيجية تضمن السلام .

ليس من تلقاء نفسه

والعالم التكنيكى لا يستقر من تلقاء نفسه ، وانما يستقر بقدر ما يتعلم البشر كيفية منحه هذا الاستقرار .

ولذا فإن السلام العالمى الذى يراد ويخطط وينشد عن سابق وعى ، إنما هو شرط حيوى للعصر التكنيكى . ولنقارن السبيل

إلى هذا السلام بتسلق قمة جبل صخرى لم تقهر بعد . فى القرون الماضية تسلقت الإنسانية مرتفعات من الحصى والحجارة ، وكان التقهقر المتكرر فوقها امراً لا مناص منه دون أن يكون مميتاً . ولكننا نقترب اليوم من منطقة القمة التى تفسح لنا مواطئ صخرية صلبة ، هى صخور الضرورة التاريخية . وقد يمكن التسلق فوق هذه الصخور بثقة اكثر من السابق ؛ ولكن لابد من توفر الإرادة فى التسلق ، ولابد من تمكننا من ذلك تكنيكيا ، لأن الإنزلاق من القمة ههنا قد يكون مميتاً قاضياً على الحياة .

٢ ــ وقد دخلنا الآن نطاق قضايا السياسة العالمية . أما المبدأ الثانى فيقول : إن السلام العالمى ليس بالعصر الذهبى ، بل إن اقتراب حلول هذا السلام يبدو فى التحول التدريجى من السياسة الخارجية القائمة الآن ، إلى سياسة داخلية عالمية . وتحت عنوان السياسة الداخلية العالمية ، فإنى سأصف هنا ظاهرتين مختلفتين ، ولكنهما منبثقتان من وحدة العالم ، وهما : نشوء مؤسسات عالمية فوق الصعيد القومى ، والحكم على مشاكل السياسة العالمية بمقاييس تتعلق بالسياسة الداخلية .

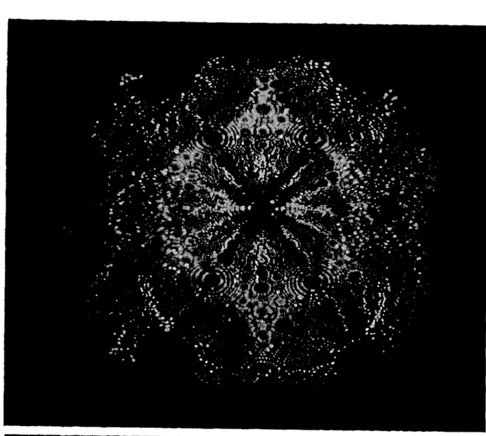
إن تحول السياسة الخارجية الخاصة بوحدات سياسية أصغر إلى سياسة داخلية لوحدات سياسية اكبر أمر نعرفه من التاريخ . إذ لم تكد تمض مائة عام بعد منذ خاضت الدويلات الألمانية لآخر مرة حروباً شنها البعض ضد البعض الآخر . ويكاد مثل هذا الأمر يبدو اليوم بعيداً عن تصور الجيل الجديد . ومنذ ذلك الحين ، لم تنته اوجه الخلافات فى المصالح والطبائع بين القبائل الألمانية ، كما أن السياسة من دون شك لم تصبح مع مرور الزمن اكثر اخلاقية مما كانت عليه . ومع ذلك فقد وجدت فى عهد رايش بسمارك ، وتوجد اليوم فى جمهورية ألمانيا الاتحادية سبل دستورية لحل الخلافات . ولكن عندما تهجر هذه السبل ، وحتى دون استخدام العنف ، بل باتباع الباطل وقلب الحقيقة مثلا ، ترتفع موجة أستياء عادلة ، قد تكون ناجحة المفعول فى بعض الحالات .

وبوجه عام يصح أن نقول : يجب أن يضمن السلام لا بتوفر النوايا السلمية فحسب ، بل وكذلك بانشاء موسسات عالمية ثابتة فوق الصعيد القومى . ومع أن النوايا والمشاعر تتغير من بلد إلى آخر ، ومن جيل لجيل ، إلا أن السلام يجب أن يعم جميع البلاد وأن يستمر عبر الأجيال . ويجب أن تتكيف هذه المؤسسات بقدر الامكان للانظمة السياسية الداخلية الآخذة فى النضوج والخاصة بعالم آخذ فى الوحدة . فما هى هذه الأنظمة ؟ وأية أهداف يجب أن نضعها أمام الارادة فى التقدم والبقاء ، تلك الإرادة التى تستيقظ دائماً وأبداً فى كل بلد وكل جيــل ؟

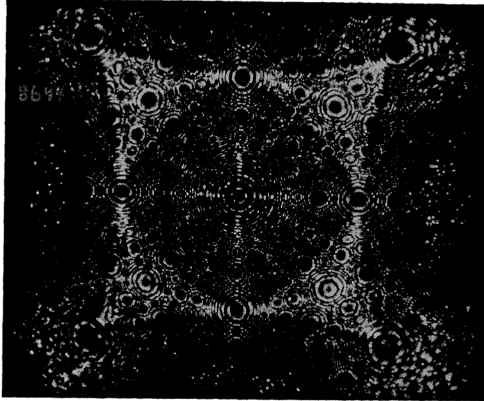
إننا فى الغرب نعتبر بحق كامل أن الحرية نعمة سياسية لا يمكن التخلى عنها . وقد دفعنا ذلك فى قرننا الحالى إلى موقف الدفاع حيناً من الوقت . وفى العالم الحاضر أيضاً ، تظل الحرية ، عند اعتبارها على الوجه الصحيح ، الفكرة التقدمية بعينها . وأما بالنسبة للجزء الأكبر من العالم فان السبب فى صعوبة تحقيق الحرية السياسية الداخلية يعود ، بوجه خاص ، إلى أن هذه الحرية تكاد تأتى قبل أوانها كهدف واضح معين . فشعوب هذه البلاد لم تتخلص من النظام الاقطاعى القديم إلا فى قرننا هذا . وعليها أن تتكيف للعصر الحديث ، وأن تبلغ درجة مناسبة من العدالة الإجتماعية ، كما تساورها دوماً احلام قومية أصبحت الآن ــ بالنظر إلى الاندماج الحقيقى بين أجزاء العالم العصرى ــ قديمة فات أوانها . ولا يمكن تحقيق جميع هذه الأهداف دون سلطة سياسية قوية . ولكن هذه السلطة ، وهى فى الغالب وليدة ثورة ما ، تؤمن على نفسها ضد انقلاب جديد على حساب حريات المواطنين .

ولن نتمكن من توفير هذه المرحلة على هذه الشعوب الداخلة فى نطاق الحياة العصرية . وقد يجوز لنا فى هذا الصدد أن نتذكر بأن أهم نقطتى انطلاق فى تاريخ اوروبا الغربية والوسطى نحو الحرية المضمونة اجتماعياً ، كانتا العدالة والضمانة الحقوقيتين . ولكن الدولة الاستبدادية المطلقة ساهمت بنصيب كبير فى خلق هذا النظام الحقوقى الذى مكن أخيراً من حل هذه الدولة . ولذا ففى السياسة الداخلية العالمية أيضاً ، وكذلك وبوجه خاص فى الرد على الشيوعية ، يعتبر خلق وحماية أشكال دستورية يعتمد عليها داخل دول العالم ، بالإضافة إلى نماذج حقوقية قابلة للتنفيذ فى العلاقات بين هذه الدول ، هدفاً ملحاً عاجلا . وهو هدف يبرر فى جميع أجزاء العالم اتخاذا جراءات شخصية عند اقتراب الخطر . إن الدستورية هى الأساس الذى تقوم عليه حرية المواطنين ؛ والحرية دون نظام حقوقى ملزم تقضى على نفسها بنفسها .

ولكن علينا فى الوقت نفسه ، تمشياً مع الوضع الاجتماعى الحاضر والمقبل ، أن نعتبر الحرية مجدداً ، كما علينا ، بموجب ذلك ، أن نتعلم كيف نعمل . فألإرهاب فى حقيقة الأمر وسيلة فظة بالية . والمشكلة العصرية هى : الحرية والتخطيط . والمجتمعات الصناعية الحديثة ، كمجتمعات الدول الأطلسية من جهة ، ومجتمع الاتحاد السوفياتى من الجهة الاخرى ، تصبح دوماً اكثر تشابها فيما بينها بصورة غير ملحوظة . ويحدث هذا الأمر تحت ستار العقائد المتصارعة والفروق الأصلية فى التقاليد السياسية والشعور السياسى . وتفرض الضرورات التكنيكية حياة مرسومة إلى حد بعيد . فبالاضطرار الذى قلما يلحظ ، وبالضغط



١) صورة بالألوان لذرة واحدة التقطها عام ١٩٦٣ «إرفين ف . مولر» الأستاذ بجامعة Pennsylvania State بولاية فيلادلفيا . وقد قام هذا الباحث الشهير بتفجير الطرف العلوى لإحدى بلورات بلاتين الإيراديوم بواسطة أيونات الهليوم . ويلاحظ فى هذه الصورة أن النقط الخضراء تمثل الذرات التى حاصرها غاز الهليوم . أما النقاط الحمراء فتشير إلى الأماكن المتخلفة عن الذرات التى فجرت .



٢) بعض الذرات المتفرقة – لبلور «ڤولفرام» – بعد أن فجرت بواسطة الأيونات . وتشير النقاط الخضراء إلى إحدى الذرات المعدنية التى ظهرت حديثا ، بينما تمثل النقاط الحمراء مكان الذرات «الضائعة»

الاقتصادى ، وبأغراء مستوى المعيشة يدفع البشر إلى الاندماج فى الخطة المرسومة . وإذا أريد أن يظل فى عالمنا قسط من الحرية الانسانية الحقيقية ، فلن يكون لنا مفر من تخطيط مدى هذه الحرية ايضاً . والخطة التى لا تصاحبها حرية ما ستبدو ، فى عالم تكنيكى متقدم ، فاشلة عاجزة عن العمل . وتناقض مثل هذه الخطة طبيعة الانسان المسئول عن هذا التكنيك وعن تقدمه .

٣ – إن السلام العالمى يتطلب منا بذل جهد خلقى فائق للعادة لأنه لابد لنا بأى حال من الأحوال من انماء أخلاقية للحياة فى عالم التكنيك .

فماذا تعنى أخلاقية العالم التكنيكى ؟

إن اساس هذه الأخلاقية ليس جديداً . إذ أن الأخلاقية القديمة القائلة بحب الإنسان تكفى وحدها إذا طبقت على حقائق العالم التكنيكى الجديد . وإذا لم تستخدم هذه الاخلاقية فى هذا المجال ، فان ذلك يعنى أننا لا نأخذها بعين الجد . كما أن اكثر الكتب التى نملكها شورية ، وهو العهد الجديد من الكتاب المقدس ، لم تستنفذ تعاليمه بعد . إذ أن كثيراً من أنظمة العالم الحديث تعود فى أصلها إلى تعاليمه ، ولكنها مطبقة هنا من جانب واحد فقط على ما هو محسوس دينوى ؛ أى أنها استحالت دنيوية ، كما يقال . وإنى أمر على ذكر هذا الأساس مروراً هنا ، دون أن أحلله . وسأحاول استخلاص البقية الباقية من حديثى من القانونية الداخلية للعالم التكنيكى نفسه . وبذلك احاول ألا انطلق من مبادئ اخلاقية ، وإنما من العقل . والعلاقة بين الاثنين وثيقة . إذ أن العقل الصحيح إذا طبق فى الحياة العملية ، فانه يستحيل بالضرورة إلى مبادىء خلقية . ولكن ما فتح بصائر عقولنا ، وما يفتحها دوماً كلما عجزنا عن استخدامها فهو صوت محبة الإنسان ، ذلك الصوت الذى سمعناه ذات مرة .

وهناك سحر خاص للتكنيك ، كما أن له فتنة تسيطر على المشاعر والأحاسيس ، بحيث يؤدى بنا إلى الاعتقاد بأن تصرفنا تقدمى تكنيكى عندما نطبق بالفعل كل ما هو ممكن تكنيكياً . ولكن ذلك لا يبدو لى من التقدم فى شىء بقدر ما يبدو صبيانياً . وهو التصرف الخاص بجيل بدائى يجرب جميع الامكانيات ، لا لشىء إلا لأنها جديدة ، كطفل أثناء لعبة ، أو كقرد صغير السن . وقد يكون هذا الموقف ضرورياً بصورة مؤقتة لكى ينشأ التكنيك بأى حال . ولكن التصرف التكنيكى الناضج يختلف عن ذلك . فهو يستخدم الاجهزة التكنيكية كوسائل تخدم غاية معينة . ولكن الذى يستطيع أن يخطط مجال الحرية وحده فهو الانسان فقط ، الانسان الذى يظل سيد التكنيك .

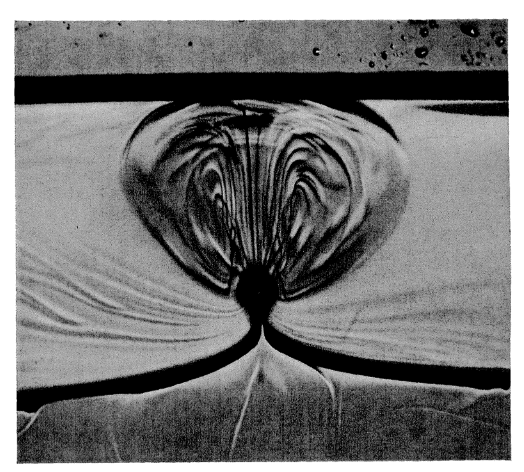
وإنه ليهمنى أن اوضح أن هذا الموقف الناضج ليس بغريب عن التكنيك ، بل إنه الموقف التكنيكى بذاته . وإن كل جهاز تكنيكى بمفرده موجود لغرض ما ؛ وهو مركب بحيث تتعاون جميع اجزائه لخدمة هذا الغرض نفسه . وليس هناك أى جهاز يحمل غايته فى ذاته . والحضارة التكنيكنة التى تعرقل اجزاؤها وتهدد وتدمر بعضها بعضاً ، ليست بناضجة تكنيكياً . والتكنيك الذى يعمل وكأنه يحمل غايته فى ذاته انما يعتبر ، بصفته كلاً ، فى مستوى نمو وتطور ادنى من أجهزته وادواته المفردة ؛ وهو ، بصفته كلاً ، لا يعتبر بأنه أصبح تكنيكياً بعد .

وإذا ما أردنا أن نعيش بكرامة إنسانية فى عالم التكنيك فلابد لنا أن نكسب وعياً للاستخدام التكنيكى الصحيح له . وهذا يتطلب جهداً خلقياً يجب أن يرسو فى اخلاقية ايجابية ، وفى تقاليد رصينة . وكما قال كانت ، فإن علينا أن نعمل بحيث نفهم الإنسانية فى كل إنسان ، لا كوسيلة بل كغاية . وكقاعدة مرشدة يجب القول : إن الانسان ليس آلة ، وان الاجهزة والآلات لا يجوز استعمالها إلا لفائدة الإنسان وليس للإضرار به . وسيتضح الوعى النامى لهذه القاعدة من تكون ونشوء اشكال ثابتة ملزمة من العلاقات بالتكنيك . والطب ، الذى يعرف منذ آلاف السنين تكنيكاً قائماً على المعرفة ، كما يعرف القوة المنبثقة عنه ، يعرف أيضاً هذه القاعدة الملزمة منذ آلاف السنين . وفى تكنيك الحياة اليومية ، كحركة المواصلات مثلا ، نتعلم جميعاً كيف نحترم التكنيك فى الوقت الحاضر شيئاً فشيئاً . وفى العلاقات الاقتصادية الكبيرة يطبق التكنيك ضد ما يبدو مصلحة خاصة ، أو أنه يجب أن يطبق ، كما فى قضايا إزالة الأحياء الخربة او عمليات التنظيف أو تصريف الغازات والمياه القذرة فى الوقت الحاضر . وأخيراً فقد بلغت الأسلحة التكنيكية درجة من الكمال تجعل استبعاد الحرب مطلباً ملحاً من مطالب اخلاقية التكنيك .

وهذا المطلب واضح بالنسبة للانسان الحاضر . ولكنه كثيراً ما يجبن أمام امكانية تحقيقه . واننا اليوم لفى فترة انتقالية تستنكر فيها الحرب الكبرى بشدة منذ الآن ، ولكنها تظل مع ذلك محتملة الوقوع . وهكذا فأن سلوكنا الخلقى تجاه امكانية الحرب انما هو سلوك انتقالى غير مضمون . ويحاول البعض أن يعيشوا منذ اليوم متقيدين بشدة بالأخلاقية التى لابد أن تصبح الاخلاقية السائدة يوما ما ، بحيث يرفضون أى اشتراك فى التحضير للحرب الممكنة . ويحاول آخرون ، ممن يتفهمون هذا المطلب بشكل

لا يقل وضوحاً ، أن يعملوا من خلال الأنظمة التى مازالت سائدة اليوم ، على تثبيت دعائم نظام سلمى حقوقى وتحررى . وتقوم كل من الفئتين بعمل ضرورى ؛ وهو عمل يجب أن يجد كل فرد استعداداً فى نفسه للقيام به .
ويجب أن يكون ادراك ضرورة ضمان السلام متطوراً نامياً فى اوضح صورة لدى اولئك البشر الذين هم اقرب الناس الى الأسلحة التكنيكية : ألا وهم العلماء الذين مكنت ابحاثهم من صناعة هذه الأسلحة ، والجنود الذين يضطرون إلى استخدامها ، والساسة الذين يملكون قبل غيرهم وسائل تجنب استخدامها . ومع ذلك فكل من هذه الفئات مازالت متخلفة عن القيام بواجبها . فالعالم كثيراً ما ينسحب إلى برج أبحاثه العاجى ؛ وحيث يواجه النتائج السياسية لأبحاثه الخاصة ، فلابد حينئذ أن يتعلم كيف يتغلغل فكرياً فى صميم الحقيقة السياسية المعقدة . وما زال من العسير على الجندى اليوم أن يعتقد بهذا التحول البعيد الأثر فى العالم . وأخيراً فان السياسى مجبر على كسب ود جهات متعددة ؛ فهو ، مهما كان جاداً تجاه قضية السلام ، يمثل دوماً وفى الوقت نفسه مصالح حزبه ووطنه . إن جميع الساسة بحاجة إلى القوة الدافعة والداعمة أو المقاومة التى تنبثق عن وحى جميع البشر ، بما فيهم اولئك الذين تحت إمرتهم ، أو الذين يعطونهم اصواتهم السياسية ؛ ذلك الوعى الواضح التكوين ، المستعد لتقديم الضحايا ، والقائل بان الحرب لا يجوز أن تقع أبـداً .

ترجمة : محمد على حشيشــو



٣) على سطح الشمس وفى وهج الحرارة المغناطيسية بباطن الأرض ، وفى الهواء المحيط بسطح الكرة الأرضية تنعكس تلك الدينامية الشديدة وذلك النشاط الدائب الذى نتبينه فى الحركات الامتزاجية وفى التدفق المستمر للتيارات الدائرية . وفى هذه الصورة نشهد نموذجا مصغرا للتفاعلات التى تحدث فى الكون مثلا فى الحركة الناجمة عن عملية مزج الماء بحامض الخليك .

الحدس من الوجهة البيولوجية

بقلم الأستاذ دكتور ادولف بورتمان

ليست الكائنات الحية — بحاضرها وماضيها — سوى النصوص الأصلية التى يبحث عالم الأحياء عن المعنى الدفين بين طياتها . حتى إذا تجمعت لديه كمية لابأس بها من الحقائق العلمية الموثوق بها أصبح من الممكن أن تتبدل أبسط معارفنا عن الحياة بصورة غير منتظرة .

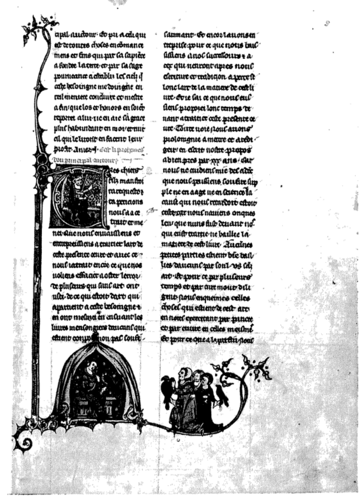
ولعله مما يسترعى اهتمام عالم البيولوجيا المحدث غرابة المنهج الذى فسر به أسلافه فى القرون الوسطى شكل الحمامة مثلا ، حيث يقول فى هذا الصدد عالم القرون الوسطى الأوربية «هوج دى سانت ڤكتور» : «للحمامة جناحان كما أن للمسيحى طريقان فى الحياة ، أحدهما ايجابى والآخر تأملى. أما الريش الأزرق الذى يكسو جناحيها فيذكرنا بالأفكار السموية . ويمثل توزيع الألوان وبريقها فى سائر جسدها — الأمر الذى يرتبط فى أذهاننا بالبحر الهائج — محيطا خضما من العواطف والانفعالات البشرية التى تنشر الكنيسة فوقها أشرعة سفينتها . ولماذا نجد للحمامة عينين يميل لونهما إلى الأصفر الذهبى ؟ لأن اللون الأصفر رمز النضوج والخبرة . فمن خلال ذلك اللون الأصفر الذهبى القابع فى عين الحمامة تنطق النظرة الحكيمة التى تلقيها الكنيسة على المستقبل .»

وليست مهمتنا فى هذا المقال أن نعرض لذلك التطور المهول الذى طرأ على العلوم الطبيعية منذ العصور الوسطى الأوربية حتى الآن ، وإنما يعنينا فى هذا المقام أن نعرض لما أسفرت عنه دراساتنا الأخيرة القائمة على ملاحظة وتسجيل الحقائق التى لم تلق حتى الآن القدر الكافى من اهتمام العلماء المحدثين واعترافهم ، أو — على ما يتراءى لنا — أنها لم توضح وتفسر بعد على النحو الصحيح . أى أننا ، بعبارة أخرى ، نحاول هنا أن نكشف النقاب عن الكائن الحى فى ضوء آخر بحوثنا العلميـة ..

نحن نبتهج لمرأى الأزهار وإن كانت غالبا ما تختلف إجاباتنا على السؤال الباحث عن المعنى أو الغرض الذى من أجله تنبت هذه الأزهار وتتفتح . وهنا تجيب الدراسات العلمية رافعة من قدر بعض الاحتمالات على البعض الآخر ، مقررة أن وجود هذه الأزهار يخدم حفظ النوع ، أما تفتح الأزهار فينطوى على هدف معين هو أن تجتذب بجمال شكلها وطيبة رائحتها حاملات بذور التلقيح من الحشرات والطيور والخفافيش وخلافها . وطالما أولت كافة مدارس علم الأحياء جل اهتمامها لاكتشاف مختلف الظواهر التى تدل على وجود هذا الهدف التلقيحى فى الزهور . كما أثبتت التجارب المعملية أن الحشرات الحاملة لبذور التلقيح ترى الألوان وتميز الروائح !

غير أننا لو تأملنا بعض التفرعات الخارجة عن شكل الزهرة ، وهى تلك التى تلعب فى التجارب دور البديل بالنسبة للزهرة الجاذبة لحاملات بذور التلقيح ، لتبين لنا أنه لا يمكن تفسير جميع جزئيات الزهرة على أنها تخدم حفظ النوع . ونحن فى هذه الحالة نقول أن الزهرة تبدو على هذه الهيئة بالذات دون سواها لأنها من فصيلة «الأورشيدية» أو الورود مثلا . وهكذا نجد هنالك معنى تنطوى عليه وظيفة التلقيح لدى الزهرة ، كما أن هنالك دلالة أخرى للزهرة ، هى انتمائها إلى سلالة نباتية معينة . ورغم أن كلى من هاتين الدلالتين يتعلق بموضوع واحد هو الزهرة ، إلا أن الظواهر التى تتعرض لها كل منهما تختلف عن الظواهر التى تعالجها الأخرى . ذلك أن البحوث العلمية التى تتبع عملية التلقيح فى النبات منفصلة بذاتها عن الدراسات التى ترصد الأشكال المميزة لمختلف أنواع النباتات . وما زالت هذه الشقة قائمة حتى الآن بين الدلالة الوظيفية البحتة للنبات وتلك الخاصة بهيئته العامة (المورفولوجيه) القائمة على أساس قوانين معينة . وقد تعين الآن على علم الأحياء أن يضع حدا لهذا الانفصال بين البحوث المتعلقة بالمعنى الوظيفى والأخرى المتصلة بالمعنى المورفولوجى للنبات .

ولنأخذ الفراش ، الذى يطوف بالحدائق فى الصيف خاصة ويعرف باسم «أبى دقيق» ، كمثال جديد للدلالة على المعنى الوظيفى المورفولوجى الذى سبق أن عالجنا فى ضوئه وجود



قال السيد الحاج عيسى الشريف اللغواتى فى بازه :

جامع الاوصاف كاملة

تربية ايدى كامل الرياسة مستعقل

عن كتاب الامبراطور فريدرك الثانى فى البيزرة؛ وقد ضاعت النسخة الاصلية لهذا المؤلف سنة ١٢٨٤ وكان ابن الامبراطور وهو الملك مانفرد، قد امر الناسخين باستنساخ الكتاب المذكور قبل ان يختفى؛ وقد حفظت هذه النسخة الثانية فى مكتبة الفاتيكان فى روما. وهنالك نسخة اخرى مترجمة فرنسية لها محفوظة فى المكتبة الملية فى باريس.

الأزهار. فلدى هذا النوع من الفراش عدد كبير من المميزات التى تجعله يلعب دور القرين فى تلقيح النبات ، من بينها أعضاءه الحسية وبناء شواربه . إلا أنه لا يجب أن ننسى أن «أبا دقيق» هذا لا يعمل على حفظ النوع بالنسبة للزهرة فقط وإنما بالنسبة لذاته ونوعه هو الآخر . كما أنه مزود للنهوض بهذه الوظيفة الأخيرة بأعضاء معينة ذات رائحة ودلالة جنسية بالنسبة لفصيلته . وقد ثبت من التجارب المعملية التى أجريت على هذا النوع من الفراش أن الرسومات المزودة بها أجنحته لا تلعب أية دور جوهرى فى تعارف الجنسين على بعضهما ، بينما يلعب لون أرضية الجناحين دورا رئيسيا فى هذا المجال . وهو الأمر الذى نستنتج منه أن الرسومات التى تزين أجنحة هذا الفراش لا تحقق أية وظيفة تؤدى إلى حفظ النوع . ونحن لا نجد هنا ما يفسر مثل هذه التفاصيل «اللاوظيفية» إلا إذا أرجعناها إلى أن



وقال ايضـا :

عنده زرشـــات فى العـــلاء

ويزغـرت فى الهـوا بتكبير وتهليـــل

صحيفة اخرى من كتاب الامبراطور فريدرك الثانى، عن النسخة المحفوظة فى باريس. عن كتاب كارل ا. ڤيلمسن C. A. Willemsen (مع اشتراك داجمار اودنتال) "Kaiser Friedrichs des Zweiten: „Über die Kunst mit Vögeln zu jagen دارنشر اينزل Insel Verlag، فرانكفورت على الماين ١٩٦٤.
نشكر دار النشر التى لتصريحها بنشر هتين اللوحتين وانعامها علينا بالكليشه.

أجنحة هذا «النوع» من الفراش تتميز بصفات معينة من بينها تلك الرسومات التى وجدناها على إحدى العينات المشار إليها .
من كلى المثالين الآنفين يتبين لنا أن شكل كل من الزهرة والفراشة يتعدى المتطلبات اللازمة لحفظ النوع . ولعل هذا

هو السبب فى أن علم الهيئة أو شكل الكائنات وتركيبها (المورفولوچيا) يحظى باعتراف الأوساط العلمية ، وإن كنا نجد فى الوقت ذاته أن البحث العلمى الحديث المتعلق بالكائنات الحية لا يأخذ عمليا بمناهج علم المورفولوچيا ، بينما يستخدم طرقا للبحث تعتمد على علمى وظائف الأعضاء

والوراثة . كما نجد أن حفظ الفرد عن طريق عمليّتي الهدم والبناء البيولوچيتين فى الجسم ، وحفظ النوع عن طريق التناسل قد أصبحا فى قمة المدرج الهرمى للخواص البيولوچية . أما علم الهيئة التجريبى فغالبا ما يتقبل الأشكال على ما هى عليه ، ويقتصر بعد ذلك على البحث عن العلاقة بين نظام عوامل الوراثة فى البذرة أو النطفة ثم الشكل النهائى النابع منها أو الذى نجم وتكون عنها . وعلى ذلك فإن مهمة علم الهيئة التجريبى تنتهى بانتهاء بحث العلاقة بين الاستعداد الوراثى والتطور النهائى للكائن الحى . وقد يستخدم هذا العلم الشكل الخارجى كمرجع لتحليلاته ، ولكنه لا يسأل عن الهدف من هذا الشكل .



على أننا نود هنا أن نشير إلى أنه لا يمكن للعالم البيولوچى أن يوسع من أفق فهمه وتفسيره لأشكال الكائنات الحية إن لم يتنازل عن الاعتقاد بأن الهدف الأعلى لسلوك الكائن الحى ، وكافة العمليات والنشاطات البيولوچية التى تميزه ، هو حفظ النوع . هذا عداك عن بعض الاتجاهات الميكانيكية التى سيطرت على مناهج العلم الحديثة فترة طويلة . فاذا كانت الحياة من وجهة نظر علمى الكيمياء والفزياء لا تعدو أن تكون امتدادا للجماد بعد أن بلغ درجة معينة من التعقد ، فقد كان من الطبيعى أن يرى البعض — قياسا على ذلك — الكائن الحى على أنه بديلا للآلة . فهل هم على حق فيما ذهبوا إليه ؟

حتى نستطيع الاجابة على هذا السؤال يلزمنا أن نعود من جديد إلى مثالى الزهرة وفراشة «أبى دقيق» . فالدور الذى يلعبه كل من هذين الكائنين يذكرنا بأمر لم نلتفت إليه حتى الآن ، ألا وهو الرباط أو العلاقة التى تربط كلا منهما بالآخر فى عملية التلقيح النباتى . فإن هذه العلاقة تجعلنا نفترض أن «أبا دقيق» يرى الزهرة ويميز رائحتها وهو الأمر الذى يجعلنا نفترض بالتالى نشوء «تجربة» — واعية كانت أم لا واعية — أدت إلى حفز الفراشة لأداء دورها التلقيحى بالنسبة للزهرة . ولعلنا نعلم أن كافة الشروط العلمية الملموسة والمؤدية إلى حدوث هذه «التجربة» مقررة سلفا — بالوراثة — وذلك عن طريق احتواء نطفة الفراشة على تنظيماتها كأعضاء الحس والجهاز العصبى المركزى والغدد

الهرمونية . وهكذا فإنه بحدوث هذه «التجربة» يتكون لدينا «وجود» معين يجمع بين كائنين حيين فى وحدة نوعية أى تعلو على المستوى الفردى ، أدت إليها تجربة أحد هذين الكائنين وتكوين كل منهما . ولعله يجدر بنا هنا أن نضع لحظة تلامس الكائنين المذكورين فى مكانها من ذلك الوجود الذى سبق أن ذكرناه ، والذى نعرفه حق المعرفة من خلال وجودنا الانسانى ولذلك فنحن ندعوه الوجود أو التجربة الذاتية . وتصدق هنا صفة «الذاتية» حتى لو افترضنا أن النظام الذى تحدث تبعا له هذه العلاقة ، التى تتعدى حدود الفرد إلى مميزات النوع ، يسير بطريقة آلية محضة ، فإن هذه «الآلات الصغيرة» مكونة من «بلازمات» مجهولة علينا ، حيث تحدث فى إطارها «التجربة الذاتية» المشار إليها . ولازال العلم حتى يومنا هذا معترفا بقصوره عن فهم طريقة عمل هذ «البلازمات» . ولعل هذا هو السبب فى ان الصناعة الحديثة نادرا ما تمكنت من محاكاة هذه الأجهزة البروتوبلازمية . ومن يريد الاستوثاق من ذلك فليتصور شكل الجهاز الالكترونى اللازم تصميمه حتى يقوم بمحاكاة أصلية لعملية إدراك فراشة صناعية لزهرة من صنع أيدينا . فنحن لو علمنا أن ذلك القدر من الجهاز العصبى الدماغى الذى لا يزيد حجمه عن المليمتر المكعب لدى الفراشة ، يقوم بهذه الوظائف الادراكية والعديد من غيرها ، لتبين لنا مدى غرابة هذه الآلات البلازمية البيوكيميائية .



سبق أن تحدثنا عن التكوينات الوراثية ، وعن السمات الحيوية التى تنجم عنها آثار التجربة الشعورية واللاشعورية . وقد كان هدفنا فى هذا الصدد هو أن نوضح بصورة خاصة كيف تتقابل الوظائف البيولوچية والنفسية وتتداخل إلى حد بعيد تزول معه الفواصل والحدود المفتعلة التى اصطنعتها المناهج الفكرية الميكانيكية . ذلك أن تلك التجربة الذاتية التى حدثنا عنها «ديكارت» واستبعدتها مناهج العلوم الطبيعية ، قد عادت لتلتقى مع بحثنا للعلاقة الحية بين الفراشة والزهرة . بل أنه حتى لو أمكن نفى أو استبعاد صفة الذاتية عن الزهرة فى مجال هذه العلاقة (رغم أن تقرير صحة ذلك من عدمه



تيودور ويرنر (ولد عام ١٩٠٣): تصوير ١٧ (١٩٤١) Theodor Werner, Bild Nr. 17.
عن كتاب: ويرنر دوده: برلين وصنعتها منذ ١٨٧٠ W. Doede, Berlin, Kunst und Künstler seit 1870.
دارنشر اورل بونجرس (Aurel Bongers)، ركلنجهاوزن ١٩٦١. نقدم شكرنا لدار النشر التى انعمت علينا بكليشه هذه اللوحة.

يرجع إلى علم النبات !) فنحن لا نستطيع أن ننفى هذه الصفة عن الفراشة فى علاقتها بالزهرة . من أجل ذلك فنحن نطالب بعودة عنصر التجربة الذاتية إلى العلوم الطبيعية بعد أن طال استبعاده من مجال بحثها . بل يجب أن يوضع هذا المحك الجديد موضع التجربة العلمية المستقصية . ولعل هذه الخطوة التى ولجت معها التجربة الذاتية حقل البحوث البيولوجية ، تعد من أخطر مراحل تطور علم الأحياء وأجلها شأنا فى النصف الأول من هذا القرن . فهى تتبوأ مكانة رفيعة تقف جنبا إلى جنب مع النتائج الكبرى لعلمى الفسيولوجيا التطورى ، والوراثة .

لسنا بعد ذلك بحاجة إلى تأكيد ضرورة العناية بوضع البحوث المتعلقة «بذاتية» التجربة لدى الحيوان فى مكانها اللائق بها داخل إطار البحوث المكرسة لاكتشاف العالم النفسى الذى يعيش فيه الانسان . أما أن يحظى البحث حول ذاتية التجربة الحيوانية بمكانة بعيدة الأهمية ، إذا ما طرح السؤال عن معنى وجود الحيوان ، فهذا هو ما أريد أن أؤكده بواسطة التعرض لمعالجة هذا الميدان الجديد .
تشير أكثر النظريات العلمية الحديثة انتشارا إلى أن التنظيمات الحسية والعصبية ، فضلا عن الحركية ، تلعب الدور الأول فى خدمة الوظيفة العليا للكائن الحى ، ألا وهى حفظ النوع . ومهمة تلك الوظائف الحيوانية هى الحصول على الطعام والبحث عن الاشباع الجنسى ، وتجنب الأعداء ، أى باختصار أداء كافة الاستجابات للمثيرات البيئية ، بحيث تخدم هذه الاستجابات فى مدلولها الواسع حفظ الذات والنوع بالتالى. ويقوم الجهاز العصبى المركزى — قياسا على هذا الرأى — بعمليات غريبة معقدة من الانتقاء والتبديل تشبع فى النهاية حاجات الفرد أو تعمل على إشباعها . على أنه يجدر بنا هنا أن نشير إلى أن الحاجة التى تتطلبها الاستعدادات الموجودة سلفا فى الكائن الحى لا تفيد إطلاقا المعنى الغرضى الذى تحدثت عنه النظريات القديمة فى هذا الصدد . وإنما ينص تعريف اقتضاء الحاجة هنا إلى مجرد الوصف الموضوعى للعلاقة بين تكوين معين فى أحد الأشكال الكلية ، وبين وظيفته الممكن تحقيقها .

وإنى أود أن أعرض فيما يلى لبعض الأمثلة المستمدة من الواقع فلعلها تمهد أمامنا طريقا جديدا لفهم الكائنات الحية على نحو مغاير . حيث سأعرض هنا للبلابل المغردة من نوع «سيلفيا» التى يعرف منها فصيلة Fauvette الفرنسية و Whitethroat الانجليزية . وهى عبارة عن طيور بنية داكنة تعرف فى ألمانيا باسم عصافير «مونش» (الراهب) Mönch أو «ذات الرأس الأسود» Schwarzköpfchen حيث تستجلب الأنظار بلونها الأخاذ . ومن الخواص التى يشتهر بها هذا النوع من البلابل أنه مغرد ممتاز ، فعالمه الذى يعيش فيه صوتى إلى حد بعيد ، ترفرف عليه الأصوات والأنغام ..

وإذا لاحظنا طويلا صغار هذا النوع من البلابل وكبارها أمكننا أن نتعرف على ٢٥ نداء مختلفا لها وثلاث مقطوعات تغريدية تتفاوت حسب فصيلة البلبل الذى يؤديها . وتصدر أولى الأصوات عن صغار هذه البلابل فى اليوم الخامس من تاريخ فقسها .. وسرعان ما يزداد عدد هذه الأصوات بسرعة كبيرة ، بل أنها لا تلبث أن تتميز فبعضها مخصص للاستجداء والآخر للاستجابات الصوتية داخل الجماعة ، وثالثة لاعلان الهرب ، ورابعة للتعبير عن الجزع أو الخوف ، وخامسة تطلق فى حالات التوتر ، وسادسة للتعبير عن الصراع بين الرغبات والنوازع ، وسابعة للافادة عن الألم — كما تستعمل نفس هذه الأصوات الأخيرة فى حالة الجزع الشديد — وثامنة للدفاع عن النفس ضد عدو مغير ، وتاسعة للتهديد بواسطة التصفيق بالمنقار . والجدير بالملاحظة أن كافة هذه الأصوات واضحة مميزة كما أنها مرتبطة بمواقف معينة . أما المقطوعات التغريدية الثلاث فهى تتكون من «أغرودة البكاء» ويؤديها جميع صغار هذه البلابل . حيث تعد هذه الأغرودة أداة هامة للاتصال بالبيئة ، كما أنها تدعو البلابل الصغار الى الالتصاق ببعضها أثناء النوم . ثم تأتى بعد ذلك المقطوعة الثانية وهى المعروفة باسم أغرودة «بالتس» Balz (تعبر عن الاشتياق الى الزواج) ، والمقطوعة الثالثة التى تدعى أغرودة الفصيلة Artgesang وكلى المقطوعتين الأخيرتين يغرد من ذكور هذه البلابل وحدها .

وقد أمكن تجميع أهم معارفنا عن هذه البلابل بواسطة تنشئتها وتربيتها فى عزلة تامة عن كافة المؤثرات الصوتية ، وقصر علاقاتها على الاتصال البصرى واللمسى بمربيها ، وعلى الأصوات الصادرة عنها دون تعلم أو اكتساب . وقد أمكن عن طريق هذا المنهج أن نقف على حقيقة بالغة الأهمية ألا وهى أن الاستعداد لأداء الأصوات والاغاريد الخاصة بهذا النوع من البلابل موروث . فبعكس ما يحدث أثناء عملية تعلم اللغة لدى الانسان ، نجد أن التنظيمات العصبية المركزية تنمو لدى البلابل حتى تبلغ درجة الاستعداد لأداء وظائفها دون أن يكون لذلك علاقة جوهرية بالمؤثرات الخارجية أو بعمليات التعلم . وإن كان لابد لنا أن نشير فى نفس الوقت إلى أنه كثيرا ما يحدث أن يتوقف ترديد البلبل لأصوات معينة على سماعه لها من قبل . ويعنينا

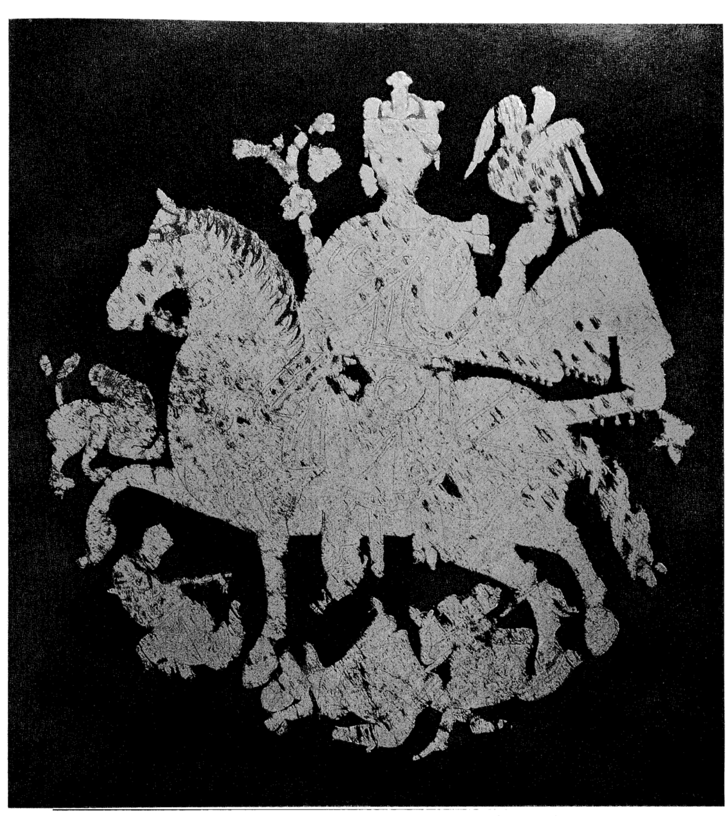
هنا أن نعرض بشيء من التفصيل لأغرودة النوع التى تصدح بها هذه البلابل . فأثناء الطفولة المبكرة ، أو على وجه التحديد بعد ١٢ يوما من مغادرة باطن العش تبدأ عملية الاستعداد لأداء الأغرودة ، حيث لا يلبث البلبل أن يجيد ألحانها الأساسية فى اليوم الخامس أو السادس عشر . وتستمر هذه الأغرودة باعتبارها مقطوعة الطفولة حتى الاسبوع الرابع من عمر البلبل ، حيث لا نجد فى هذا المجال أى فارق بين البلبل المنطلق فى الفضاء وزميله الذى نشأ فى عزلة يقتضيها البحث العلمى . بل أنه أحيانا ما تتم عملية «التدريب» على أداء الأغرودة فى صمت تام ، فاذا ما بدأ البلبل فى التغريد بعد أن يكون قد صار عمره عشرين يوما ، ففى هذه الحالة يكون قد مر بمرحلة التدريب الصامت المذكورة . وقد لاحظ المشرف على إحدى التجارب التى أجريت فى هذا الصدد «أن بلبلا ذكرا قد ظل صامتا حتى اليوم السابع والثلاثين من عمره ، وفى اليوم الثامن والثلاثين صدح أغرودة الطفولة كاملة دون أن يكون قد حاول أداءها من قبل البتة !» وتتباين أغرودة الطفولة بين البلابل ، كل حسب نوعه وفصيلته ، وإن كانت جميعها تشترك فى كونها وراثية تماما ، هذا بالرغم من أنها أغنى الأغاريد بالنغمات !

إذ يؤديها البلبل بصوت خفيض غير متقطع ، حينما يجلس آمنا وسط عشه ، دون أية مزعجات . ويكون البلبل الطفل فى هذه الحالة مرتخيا تماما فيسدل جناحيه فى استرخاء إلى جواره ، بينما يهبط الريش على جميع أجزاء جسده فيغطيها . وقد تستمر هذه الأغرودة لمدة نصف الساعة بصورة متواصلة . وتظل أغرودة الشباب على هذا المستوى الذى يمثل قمة تطورها لدى البلابل ، وذلك منذ انتهاء الشهر الأول من عمرها وحتى حلول الخريف التالى وما يصحبه من نزوع هذه البلابل إلى الهجرة ، حيث تضيع مع هذه المرحلة الجديدة من حياتها معالم أغرودة الطفولة . ويؤكد «كريج»* Craig أن البلابل الأمريكية من نوع "Wood-Pewee" لا تتعلم التغريد من المؤثرات الخارجية وإنما ينصرف البلبل من تلقاء ذاته إلى التغريد اللامكتسب . وبعد أن ينتهى موسم التناسل فى فصلى الربيع والصيف تعود أغرودة الشباب لتظهر من جديد منذ الشطر الأخير من شهر أغسطس وحتى منتصف شهر سبتمبر ، وهى تدعى هنا «أغرودة الخريف» ، حيث لا تختلف فى شيء عن نفس الأغرودة التى كان البلبل يصدح بها فى طفولته ، فهو يؤديها هنا أيضا فى هدوء وتدفق .

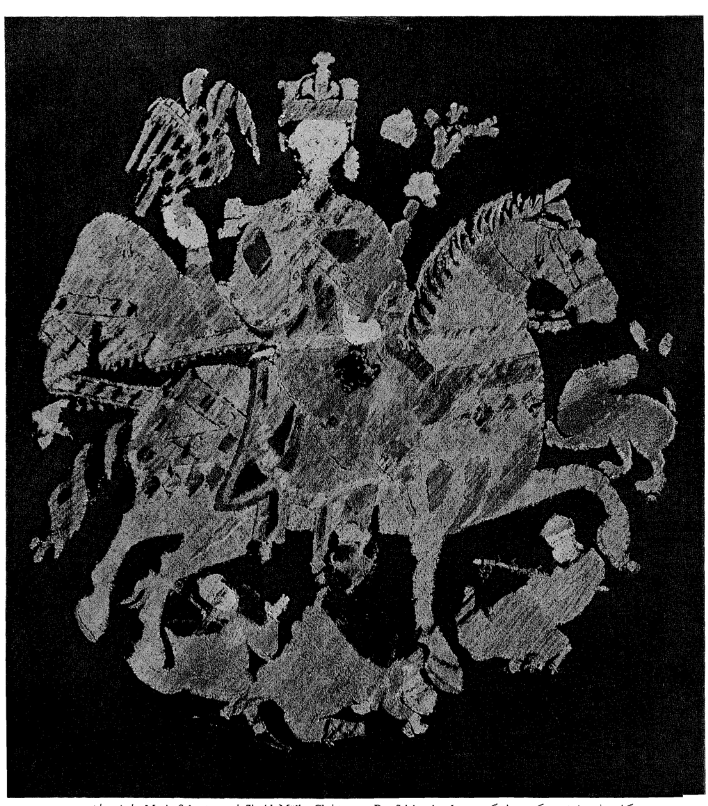
* W. Craig, The song of the Wood Pewee Myiochanes virens L., A Study of bird miusic "The N. Y. State Mus. Bull." 334, 1943 P. P. 1–186.

ويؤدى مرور الهرمونات الجنسية فى دم البلبل إلى حدوث بعض التغيير على طابع الأغرودة لديه . إذ يغرد الذكر فى هذه المرحلة بصوت أعلى ولمدة أقصر من تلك التى كانت تستغرقها أغرودة الطفولة . ذلك أن أغرودته لا تستغرق هنا أكثر من الربع ساعة حيث يصدح بها من جلسته الآمنة وأحيانا أثناء طيرانه المائل . وتتألف هذه الأغرودة من عدد من الموتيفات الموسيقية العالية لا يتجاوز الخمسة عشر . فلا عجب إن كانت أغرودة الطفولة تتحول فى هذه الحالة إلى عدد من الموتيفات الأقل عذوبة وأكثر خشونة ! وقد أثبتت الملاحظة العلمية أن هذه الموتيفات الأخيرة تلعب دورا هاما فى المراحل التمهيدية من عملية حفظ النوع . فهى تعلن مطالب الذكر بشأن الحصول على عش مستقل لا يطأه سوى هو وعائلته ، كما أنها تعزز الروابط بين البلبلين العشيقين .. وهى تستعمل فوق هذا وذاك فى حماية عش البلبل ضد الغائرين من فصيلته . وقد تبين أن هذه الأغرودة تلقى المزيد من الاجادة لدى البلابل التى تقطن فى أماكن متجاورة ، حيث يقوم كل من البلابل المتنافسة بتأكيدها واختصارها إلى أن تصبح بعد فترة قصيرة مشتملة على عدد قليل من الموتيفات الموسيقية التى يتبادلها الذكران المتنافسان على طريقة «ناقر ونقير» المعروفة فى الأحياء الشعبية . فإذا «ردح» أحدهما بموتيف تغريدى معين رد عليه منافسه بنفس صيغة الموتيف . أما إذا قاطع أحدهما الآخر أثناء أدائه أغرودة «الردح» ، صمت البلبل المعتدى على أغرودته حتى ينتهى الطرف الآخر من مقاطعته ، ثم يعود فيسرد أغرودته بلا توقف مكررا المقاطع التى سبق أن صدح بها قبل أن يقاطع . ومن الجائز فى بعض الأحيان أن يؤدى تعديل البلبل لهذه الأغرودة واختصاره لمقاطعها إلى رتابة ألحانها . ولا يصح أن نغفل هنا أن أختصار الأغرودة وتركيزها الشديد غالبا ما يكون مرتبطا بمدى كثافة سكنى البلابل فى منطقة واحدة ، ذلك أن المنافسة بين الذكور تصبح أكثر احتمالا كلما كان جوارهم قريبا . وإننا إذ نذكر مثل هذه التفاصيل إنما نود أن نلقى الضوء على التفاعلات النفسية فى حياة هذا النوع من الطير حتى نتبين مدى قصور وعجز التفسير الآلى لسلوك الطير !

والآن فلنعود مرة ثانية إلى أغرودة النوع . فبينما لا نملك إلا أن نصنف لحن أغرودة فقس البيض عند هذه البلابل إلا فى إطار حفظ النوع ، نجد أن أغرودة النوع تعد فى سنة العالم المحدث المستقصى لسلوك الطير ودلالاته «بلا وظيفة» ، طالما أنها لا تخدم المبدأ البيولوجى المعروف باسم حفظ النوع . على أن هذه الأغرودة — أغرودة



قطعتان من رداء الملك الالمانى هاينريش الثانى الذى حكم بين ١٠٠٢ و ١٠٢٤ ، وهما مطرزتان ببعض المشاهد لامير يصيد الاسود وفى يده صقره وتحت قدميه الاعداء المغلوبون. وقد صنع هذا الرداء فى ايطاليا وهو محفوظ فى خزينة الكاتيدرائية فى مدينة بامبرج فى اقليم باڤاريا.



عن كتاب مارى شيوته وسيكريد ميولر-كرستنس. Marie Schuette und Sigrid Müller-Christensen, Das Stickereiwerk دار نشر ارنست واسموت، توبنجن Ernst Wasmuth ١٩٦٣. نشكر دار النشر الذى انعم علينا بكليشهات هاتين اللوحتين.

النوع – تذكرنا بنظام آخر لسمات الحياة يختلف عن ذلك النظام الذى يتخذ من حفظ النوع غاية نهائية له . ونحن نقصد بذلك النظام الهرمى المتدرج الذى تتربع على قمته علاقة الذات بالعالم الخارجى ، وصورة العالم فى داخل الكائن الحى ، وما يتصل بذلك من قيام الكائن الحى بعرض سريرة نفسه فى سلوكه الظاهرى .*

سبق أن أشرنا إلى أنه قد ثبت أن البلابل التى نشئت فى عزلة تجيد أداء أغرودة الطفولة (اللاوظيفية) دون أن تتلقى فى هذا الصدد أى تدريب أو إيعاز من البيئة . ولا غرابة إذاً إن أثرت هذه الظاهرة على الحياة الذاتية للبلبل المغرد ، فهى نشاط سمعى نابع عنه مرتد إليه . ولا تقتصر هذه الأغرودة على كونها إحدى خواص النوع الذى ينتمى إليه ذلك البلبل وإنما هى تمثل فى آن واحد علاقته بذاته وإفصاحه الصوتى عن إحساسه الداخلى . ومن الممكن هنا أن تنضوى خواص الافصاح عن ذات الكائن الحى داخل إطار «الحوافز» المقابلة «للوظائف» . ولعلنا لا نريد أن ننسى أن وظائف حفظ النوع تؤدى إلى حل موتيفات أغرودة النوع (الطفولة) ، ثم تعود لتكثف وتركز هذه الموتيفات حتى تفقد قيمها الجمالية الأولى . أما معنى الأغرودة المتدفقة الكاملة فلا يمكن العثور عليه سوى بالرجوع إلى التعبير الذاتى للكائن الحى (البلبل) . ويصور لنا الباحثون الذين لاحظوا البلبل أثناء تغريده ، خصوصية الموقف واسترخاء الطائر . كما تشير إحدى ملاحظات العالم «لورنتس» Lorenz إلى نفس هذا الاتجاه إذ يقول : «إن طائر الشحرور المغرد يصدح بأعذب أغاديره وأجملها ، بالنسبة لاحساسنا البشرى ، وأكثرها تعقيدا من الوجهة الموضوعية ، عندما يكون فى حالة اتزان انفعالى . وهو يغرد هنا لنفسه بأسلوب شعرى أخاذ . حتى إذا ما صارت الأغرودة وظيفية بحتة ، فراح البلبل يتقاذف «الردح» مع أحد منافسيه ، أو ناشد أنثاه الجماع ، عندئذ تضيع كافة معالم الرقة والعذوبة فى صوته ، ولا نستمع منه بعد ذلك سوى إلى ترديد رتيب لأعلى المقاطع ، بينما يكاد أن يفقد تماما القدرة على أداء المقاطع الجميلة من أغرودته . تلك الأغرودة التى لا يظل منها فى هذه الحالة سوى «الأثر الوراثى» الذى يبعد كل البعد عن القيم الجمالية .»

ويحدثنا «لورنتس» عن الطريقة التى يتميز فيها عرض الأغرودة باللعب الخالص . فنحن فى إمكاننا أن نتعرف على إحساس البلبل القابع بين طيات صدره الصغير عن طريق ملاحظة عرضة الذاتى للأغرودة ولعبه وتحويره لمقاطعها . وقد ثبت أن البلابل تميل إلى الاستماع إلى النغم . وإذا كان يتوجب على العالم البيولوجى المحدث أن يكون حذرا فى استعمال العبارات الشعرية الأخاذة ، فإنى لا أرى هنا – بالرغم من ذلك – أن «نشوة البلابل» التى حدثنا عنها الحكيم الصينى «دشوانج – دسى» تبعد فى الكثير عن تصوير إحساس البلبل بصورة علمية موضوعية ..
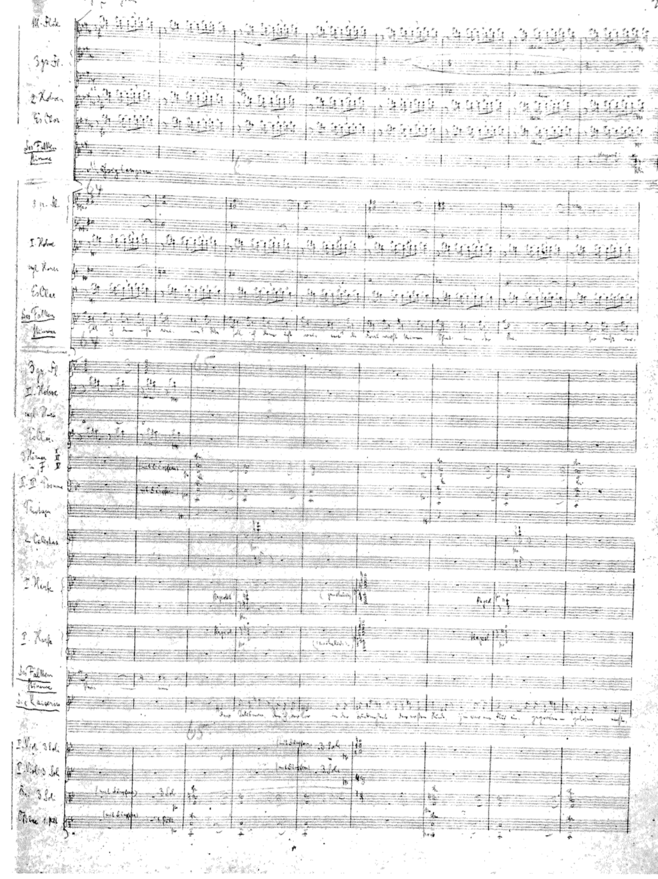
ونحن نريد بعد ذلك أن نتابع اللعب الحر بالايقاعات الصوتية لدى البلابل ، وذلك بواسطة تتبع تقرير «ف . زاور» F. Sauer (عام ١٩٥٦) . «فقد أمسك أحد البلابل (عمره ٤٩ يوما) بحجر صغير ثقله ١,٥ جرام ، وإذ بذلك الحجر يسقط منه صدفة على طبق زجاجى يحتوى على طعام البلابل ، الأمر الذى نجم عنه رنينا مسموعا . وهنا حالا ما طار الأخوات الأربع الآخرين فحطوا على حافة الطبق الزجاجى ، ثم قاموا كل وراء الآخر بحمل الحجر إلى أعلا ثم إلقائه فوق الطبق . وهكذا اختفت دلالة الحجر الصغير باعتباره فريسة أو بديلا للفريسة بالنسبة للبلابل ، وصار اهتمامهم منصبا على صوت الرنين الناجم عن ارتطام الحجر بالطبق . وهنا نلحظ أن الحجر قد أصبح لعبة حقيقية بمجرد أن أحدث إلقاءه على الزجاج لأول مرة الرنين المشار إليه . وقد كانت البلابل أثناء لعبها بهذا الحجر تقوم برفعه ٢٥ سنتيمترا ليستقر هنيهة فوق أحد الأغصان ثم يعود لينزلق لتوه فوق صفحة الطبق. ولعل حماس البلابل لهذه اللعبة كان غنيا عن البيان فبينما كان أحدها يرتفع بالحجر إلى ويسقط فوق كانت تتبعه عيونهم بتحفز وتوقع ، بينما يوزعون أنفسهم على شكل حلقة بالقرب من الطبق ، وهكذا يظلون فى تتبعهم للحجر أثناء سقوطه وينصتون بشكل واضح إلى الرنين الناجم عن وقوعه . حتى إذا ما تلاشى صوت ذلك الرنين سارعوا ، كل وراء الآخر ، بأداء اللعبة من جديد وكأنهم فى حلقة اللعب بأحد السروك ! ثم يخفت الحماس لهذه اللعبة بالتدريج إلى أن يختفى تماما بعد مضى عدة دقائق ، وأحيانا نصف ساعة أو أكثر ، بعد أن تكون البلابل قد اضطرت أن تبحث أكثر من مرة عن الحجر ، إلى أن تحس بالتعب والجوع فتقلع عن الاستمرار فى مزاولة هذه اللعبة . إلا أنها لا تلبث أن تعود فتمارسها كل يوم من جديد .. حيث يبدأ بها أحد البلابل بعد أن يكون قد أكل وشرب حتى شبع ، فيقوم بالبحث عن «اللعبة» الملقاه فى أى ركن من القفص ، حتى إذا عثر

* راجع بحث مؤلف هذا المقال تحت عنوان :
A. Portmann: Das Lebendige als vorbereitete Beziehung. "Eranos Jahrbuch" XXIV, 1958.

عليها أمسكها وارتفع بها ثم ألقاها فوق الطبق الزجاجي . فلا يلبث الرنين أن يثير فى زملائه الرغبة فى المشاركة فى اللعب .. ومن الجدير بالتسجيل هنا أنهم دائما ما يتجمعون حول زميلهم الذى حل عليه الدور فى التقاط الحصاة ، ثم ينتظرون بشغف واضح حتى يلتى بها إلى أسفل . وهكذا يزاولون لعبتهم المفضلة كل صباح وعصر وأثناء الفترات الواقعة بين الوجبات القصيرة العديدة. وكثيراما تقضى النهار بأكمله فى ممارسة هذه اللعبة .. حتى إذا حل الخريف توقف لعب البلابل ، فى هذا الفصل من العام تتجدد لديهم أحاسيس الاستعداد للهجرة .. وتدوم هذه المرحلة حتى شهر ديسمبر حيث تضطرم فى نفوسهم الرغبة من جديد فى معاودة اللعب بكثرة . وإذا ما تصادف وسقطت الحصاة فوق أرض الحجرة مخترقة أسوار القفص الذى يسكنونه ، سارعوا باللحاق به والتقاطه للتو من أرض الحجرة ، ثم اصطحابه إلى قفصهم . وفى الحادى والعشرين من شهر أبريل عام ١٩٥٥ قمنا بملء كوب ، يبلغ ارتفاعه ٦,٥ سنتيمتر وسعته ٤,٥ سنتيمتر ، إلى ثلثيه بكرات من الزجاج قطر كل منها ٨ مليمترات . ثم وضعناه إلى جوار المدفأة . كما عمدنا إلى ترك البلابل بلا مراقبة ولا إشراف فى نفس الحجرة من الساعة ١٧,١٠ إلى الساعة ١٨,١٥ (مع العلم بأن البلابل تجهل تماما الأشكال الكروية والزجاج) حيث عثرنا بعدها على كرتين زجاجيتين مبعثرتين على أرض القفص . وفى تلك اللحظة التى دلفنا فيها إلى الغرفة كان اثنان من البلابل منهمكان فى التقاط المزيد من الكرات الزجاجية من الكوب ، وإلقائها جانبا بينما يتتبعانها طويلا حتى تكف عن التدحرج أو تختفى عن بصريهما ، ثم يعاودان الكره وهلم جرا . وعندما حاول المشرف على التجربة أن يشتت هذين البلبلين سارع كل منهما بحمل كرة زجاجية ليلعب بها فى القفص . وبعد بضع دقائق عاد البلبلان وحملا كرتين أخرتين. ولم ينقض على ذلك سوى بضعة أيام حتى تلاشت رغبتهم فى اللعب وبدأت تظهر عليهم بوادر مرحلة الهجرة الربيعية .. ومن الغريب أن لعبة الرنين لم تكن مرتبطة بمكان أو بأداة معينة للعب . بل أنه قد لوحظ أن البلابل كانت تبحث بصفة مستمرة عن أماكن جديدة «لعبا» جديدة تقوم باحداث ذلك «الرنين» الذى يبدو كما لو كان يخلبها .. ومن الجدير بالذكر أن الحماس لكل لعبة جديدة لم يخفت أو يتلاشى فى فترة قصيرة ، كما أن تبديل اللعبة إلى سواها من اللعب الأخرى لم يتم أبدا دون انتقاء .. فبمجرد أن تتوفر للبلابل فرصة طيبة للعب ، أقبلوا على اللهو طويلا حتى تنطفىء بالتدريج بعد حين جذوة حماسهم له ..»

نتبين مما سبق أن كلا من اللعب وأغرودة النوع يبرز خاصية جديدة لدى البلابل ، ألا وهى التعبير الذاتى ، وإفصاحهم عن أعماقهم .. ذلك أنه عن طريق اللعب والتغريد «اللاوظيفى» يتحول لديهم الزمن الفيزيقى الميت – الذى يمر بلا معنى ولا مضمون – إلى زمن معاش وتجربة حية .. ونحن نعلم من تجاربنا الشخصية أن مجرد قضاء الوقت دون شغله بنشاط متجدد ، أمر صعب الاحتمال بل يحمل بين طياته «الملل القاتل» . كما نعلم من الجانب المقابل أن الاحساس بالزمن يكاد أن يتلاشى فى حالة الشعور بالسعادة الحقيقية ، وكأن الوقت السعيد بلا زمن ! ولعل التعبير اللغوى أكثر ما يكون وضوحا ودلالة حين يعرف الفراغ الزمنى بأنه قاتل . ونحن نلاحظ أن التجارب السلبية تؤدى إلى الاحساس بالفراغ الزمنى ، بينما تؤدى الخبرات الايجابية – على العكس – إلى نسيان عنصر الزمن . كما نرى أن هذين المبدأين أساسيين لدرجة أنه يجوز لنا أن نفترض وجود مقابل لهما فى حياة الأنواع المتطورة من الحيوان . ولعل الدليل العملى على صحة هذا الفرض يكمن فى الأهمية البالغة التى تلقاها عملية شغل وقت الحيوانات بصورة كيفية فى حديقة الحيوان . وعلى ذلك فإنه من اللازم أن نفهم كافة محاولات الكائنات الحية للعب ، على أنها تبذل لقتل الفراغ أو بعبارة أخرى لملء الوقت بنشاطات إيجابية . بل أنه ليبدو لنا أنه يجب فهم وظيفة اللعب لدى الكائنات الحية فى هذا الضوء الجديد أكثر من ظاهر اللعب نفسه .. فنحن لا نستطيع أن نعى الأغاريد اللاوظيفية التى تصدح بها البلابل فى طفولتها ، أو تلك التى ترددها فى فصل الخريف ، أو محاكاة الببغاء للأصوات ، إلا إذا افترضنا أنها تهدف فى معظمها إلى «ملء الفراغ» بنشاطات متجددة حية ..

ترجمة : مجدى يوسف



صحيفة من اوبرا «المرأة بلا ظل» لريشارد شتراوس، المتن لهوج فون هوفمانستال „Die Frau ohne Schatten“ Musik: Richard Strauß; Text: Hugo von Hofmannsthal. الصحيفة الاولى : يندب الباز المحبوب للامبراطور صاحبه لان زوجته وهي من الجن لم تكتسب ظلا، اى انها ليست بحبلى. نقدم شكرنا لابن الفنان، الدكتور فرانس شتراوس، الذى انعم علينا بفوتوغراف هذه الصحيفة وصرح لنا بنشرها.

البَازُ الأشهَبُ

مُلاحَظاتٌ فِي البَيزَرة فِي الشَّرق وَالغَرب

بقلم انا مارى شيمل

كنا نتنزه فى يوم من ايام الخريف سنة ١٩٦٣ على شارع حاشد بجماهير الناس فى قلب مدينة برلين الضخمة بينما كانت تهدر السيارات بسرعة كبيرة والضجيج يصم الاذان . واذا برجل بل شيخ طاعن فى السن يمشى فى الجمهور وعلى يده اليسرى باز كبير ، مثل الباز الاشهب الذى غنى به الشعراء ووصفه الصيادون منذ عصور طويلة فى دواوينهم ورسائلهم . اخذتنا الحيرة ووقفنا دقيقة مدهوشين ولكن الشيخ كان قد اختفى بين الناس كأنه خيال .

ذكرنا هذا المنظر الغريب بأن حب الجوارح – سواء أكانت بزاة ام صقور – عمت جميع بلدان العالم فى القرون الوسطى ، وتنافس الملوك والامراء فى تربية البزاة وتهذيب الشواهين ، وفى بعض المناطق ما زال بعضهم حتى الآن يصطاد بالصقر ، وتنتشر فى بعض البلاد الاوروبية جمعيات البازدارية وان كانت قليلة الاعضاء .

يدل على اهمية الجوارح فى القرون الوسطى ان الامراء كانوا يهدون البزاة والصقور لمن ارادوا جلب السرور الى قلبه والتفريج عن روحه . اخبرتنا كتب التأريخ بان يعقوب بن الليث الصفار صاحب الخراسان اهدى الى الخليفة المعتمد هدية «من جملتها عشرة بزاة ، منها بازى ابلق لم ير مثله» . ولم يزل اخوه عمرو بن الليث يرسل التحف النفيسة للمعتضد بالله من سنة ٨٩٤/٢٨١ الى سنة ٨٩٩/٢٨٦ فى كل سنة هدايا جمة منها «عشرين بازيا» او «بزاة كثيرة» او «ثلاثين بازيا» وكانت مقبولة جدا عند الخليفة ولها «خطر وقيمة» . وقال بعض الذين ارسل بازيا فى يوم العيد الى الامير محمد بن عبد الله بن طاهر :

ومع رسولى اليك بازٍ ابرش ذو مخلب حديد
جعلته تحفة لعيـــــد لاقاك بالطالع السعيد

وكانت البزاة من الهدايا الكبيرة القيمة لا بين ملوك العرب فحسب بل بين ملوك الغرب والشرق ايضا ، كما قال مؤلف كتاب التحف والهدايا ان برتا بنت الاوتارى ملكة مملكة الفرنج (وهى الملكة برتا من التوسكانا ٨٦٠–٩٢٥) بعثت الى الخليفة المكتفى رسولا معه تحف نادرة من جملتها «خمسون سيفا ... عشرة اكلب كبار لا يطيقها السباع ، وسبعة بزاة ، وسبعة صقور ...»

وتليق هذه الطيور بالملوك لانه يضرب بها المثل فى نهاية الشرف :

اذا ما اعتز ذو علم بعلـــم فعلم الفقيه اولى باعتزاز
وكم طيب يفوح ولا كمسك وكم طير يطير ولا كباز

وقال الوعيظى فى ذلك :

ليس المقام بدار الذل من شيم
ولا معاشرة الانذال مَن همم
ولا مجاورة الاوباش تجمل بى
كذلك الباز لا يأوى مع الرخم

حتى انه اصبح من الامثال السارية فى الشعر الفارسى ان الباز لا يطير الا بابناء جنسه ، وان اراد الشاعر التعبير عن الوحدة المطلقة يقول «انه فى جو الوحدة يطير البازى مع الحجل او مع الحمامة» اى لم يبق فرق بين الاجناس المتضادة او المخالفة الطبيعة . وقالوا ان «البازى فى المنام يدل على سلطان لمن هو من اهل الامارة وان ذهب من يده وبقى منه ساقه ذهب ملكه وبقى ذكره وان بقى فى يده شيء من الريش بقى فى يده شيء من المال» . ولذلك سموا الامير عبد الرحمن مؤسس الدولة الاموية فى الاندلس «باز القريش» .

نقرأ فى اشعار ابى نواس وابن المعتز وغيرهما وصفهم لهذه الجوارح الكبار ، البزاة والصقور والشاهين واليؤيؤ وما يليهم ، كما قال ابو نواس واحسن تعريفه :

ليؤيؤ يعجب مـــن رآه
ما فى اليآيي يؤيؤ سواه
ازرق لا تكد بـــه عيناه ...

ونجمع من تأليفات الجاحظ وعجائب المخلوقات للقزويني وكتاب الحيوان للدميرى معلومات كثيرة عن الجوارح ، والف بعد ذلك عدد لا يستهان به من المتخصصين بالصيد رسائل تحتوى على معلومات مفيدة عن اخلاق الجوارح وما يحمد منها لوناً وشكلا . وعلى ما نعلم كان اول كتاب فى تربية البزاة والكلاب ترجمة من تأليف يونانى فى العصر التاسع وكان المسلمون فى ذلك الزمان فى حروب مع اهل بيزنس ، وقال لذلك الشيبانى الفقيه المشهور المتوفى سنة ٨٠٤: «ومن وجد من الغزاة فى دار الحرب فهدًا او بازيا او صقرا غير مملوك لأحد فأخرجه الى دار الاسلام فانه يجعل ذلك فى الغنيمة» . وقال القزويني — وقد جمع المعلومات التى عثر عليها عند المصنفين كلهم — : «البازى اشد الجوارح تكبرا واضيقها خلقا ، يوجد بارض الترك؛ لا يكون البازى الا انثى ومن هذا النوع ما خلق الله الذكر، ذكرها يكون من نوع آخر ... وان كان الغالب على لونه البياض فهو احسن البزاة واملاها جسما واجراها قلبا واسهلها رياضة ، والاشهب لا يوجد الا بارض ارمينيه وارض الخزر.» وسمى العرب القمح الاسود وهو ذو ازهار بيضاء مثل الريش «صدر البازى». وقال الدميرى ، واجتمع على ذلك المؤلفون بان «احسن انواعه ما قل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما . ودون الباز الاشهب الازرق الاحمر العينين والاصفر دونهما» . الا ان صاحب المصايد والمطارد يفضل الاحمر الاكثر سوادا الغليظ خطوط الصدر ، وهذا ما يحمد عادة فى الصقور لا فى البزاة .
اما اهل البيزرة فى الغرب فقد فضلوا الباز الاشهب على جميعها . وقد الف كثير من العرب والعجم كتبا فى اوصاف الجوارح حتى انه كان من واجبات كاتب الدولة ان يعلم صفاتها (نقرأ ذلك فى صبح الاعشاء للقلقشندى)

اما الكتاب الاكثر تفصيلات فى هذا المضمار هو «كتاب صنعة الصيد بواسطة الجوارح» الذى الفه الامبراطور الالمانى فريدرك الثانى ملك صقيلية المتوفى سنة ١٢٥٠ وهو من اجلّ ملوك الغرب واكثرهم تماسا بالعرب الذين كانوا قد حكموا جزيرة صقيلية مدة طويلة قبل ان فتحها اهل الشمال . ونجد فى كتابه الضخم الذى كتبه باللاتينية تفصيلات عن تفرعات تربية الجوارح وتهذيبها وكثير مما ذكر يوافق ملاحظات العرب الا انه لم يكرر الغلط المشهور بان لا يوجد من البازى الا الاناث ، ولكنه اثبت «ان الصائد الكبير الجثة المعتبر فى الصيد فى جميع اجناس الجوارح هو الاناث» . ويصف الوان الجوارح واشكالها بنهاية الدقة ، وهذا قريب من وصف المؤلفى العرب للبزاة وسائر الجوارح . — ونجد فيها بالخاصة الصقر ، وقال الدميرى ان العرب تسمى كل طير يصيد صقرا ما خلا النسر والعقاب ، يضرى على الغزال والارنب ولا يضرى على الطير لانها تفوته وهو اهدى من البازى نفسا واسرع انسا بالناس واكثرها قنعا . ومعناه فى الرؤية هو العز والسلطان والنصر على الاعداء وبلوغ الآمـــال .

ومن جنس الصقر على ما قالوا السنقر ، وهو اشرف الجوارح ، والسناقر تجلب من البحر الشامى مغالياً فى اثمانها وكان الواحد منها يبلغ الف دينار ، ثم نزل عن تلك الرتبة — هذا ما ذكره مؤلف مصرى فى القرن الخامس عشر . ومن جنس الصقر ايضا الشاهين الذى كان محموداً فى بلاد الهند ، ومنه اليؤيؤ السريع الطيران . قال فيه بعضهم :

ويؤيؤ مهـذب رشيـــق
كأن عينيـه لدى التحقيق
فصار مخروطـان من عقيـق

ومنهما ايضا الباشق الخفيف المحمل الظريف الشمائل الذى يليق بالملوك ان تخدمه لانه يصيد افخر ما يصيده البازى .

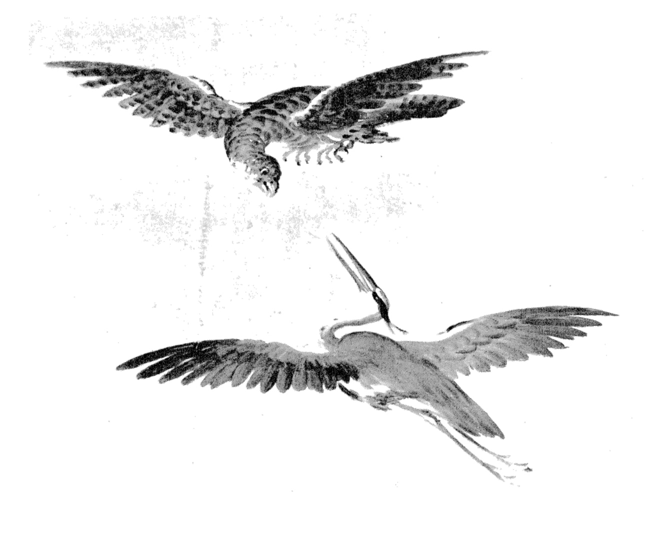
ومنها البيدق لا يصيد الا العصافير :

... مؤدب مدرب الخـــلائـق
اصيد من معشوقـة لعـاشق ...

◄ الباز والبلشون.
لوحة ليوهان هاينيرش تيشباين J. H. Tischbein (١٧٢٢ — ١٧٨٩) فى قصر فازانرى (اقيم فى القرن الثامن عشر) بجوار مدينة فولدا وقد كان مخصصا للصيد كما زينت جدرانه بالعديد من مشاهد مطاردة الطيور.

تصوير: هانس ريتسلاف ، تان فى جبل رون Hans Retzlaff, Tann/Rhön

اوحت هذه اللوحة لشاعر المانى شاب بصورة هذا الطير وهو يرسم فى الهواء خطوط من الارابيسك ذى البياض الناصع كالثلج . يقول الشاعر:



ECKHART KLESSMANN · REIHERBEIZE IM ROKOKO

Zieht ihr aus zur Reiherbeize
Mit den Rappen und den Falben,
Mit den schnellen Islandfalken
Und dem Blaufuß auf der Trage:
Sei der Tag ein schöner, stiller,
Sei die Trage scharlachfarben,
Denn das Blut bleibt unvergossen.

Seht, wie der gescheuchte Vogel
— Arabeskenzarter Schneeglanz —
Die Figuren in die Luft schreibt,
Wie die abgeworfnen Falken
Kontrapunktisch ihn begleiten,
Aufwärtsstoßen, abwärtsgleiten,
Die Trophäe niederbringen.

Und kein Reiherblut wird jemals
Eure Augenlust beflecken,
Eure Rappen, eure Falben,
Eure schnellen Islandfalken,
Euren Blaufuß auf der Trage:
Zärtlich sind die Federspiele,
Sanft die Vogelarabesken.

Denn der Tod liebt Schattenspiele
An den schönen, stillen Tagen,
In gepflegten Reiherwäldern,
Läßt sich kontrapunktisch bannen,
Bis das Blut, das unvergoßne,
Angelockt von Scharlachfarben,
Jählings sich des Spiels bemächtigt.

Aus: Eckhart Klessmann, Einhornjagd. Deutsche Verlagsanstalt Stuttgart, 1963.



استعمال الغشاء

عن كتاب كارل ا. فيلمسن : Kaiser Friedrichs des Zweiten „Über die Kunst mit Vögeln zu jagen“
دار نشر اينزل، فرانكفورت على الماين ١٩٦٤، نشكر دار النشر لتصريحها الكريم بنشر هذه اللوحة وانعامها علينا بالكليشه.

وكلها حارة المزاج واحسنها خلقا وخلقا تلك التي يقع موطنها في الشمال، ولا يسهل القبض على هذه الجوارح وتربيتها. وقال احدهم انه من فضيلة الباز «ان الصيد فيه طبيعة لأنه يؤخذ من وكره فرخا من غير ان يكون يصيد مع ابويه، فيصيد ابتداء وقريحة من غير تدرية، بخلاف الصقر فانه اذا اخذ قبل ان يتصيد مع ابويه لم ينجب ولم يصد، واذا كان قد لحق ابويه وصار معهما ثم عود اكثر مما يوجد عنده في تلك الحال وجرى على ما هو اكبر من الظباء اعتاد ذلك ومهر فيه.» وقال الامبراطور فريدرك انه من المفضل الا يؤخذ الفرخ من عشه بل ان يقبض على البزاة الكبيرة — ولو بانواع المصائد — لأنها اكثر فائدة من صغيرها مع صعوبة ذلك. وسلكوا في قديم الزمان مناهج مختلفة للقبض على البزاة والصقور، وبعد ان ملكوها ابتدأوا بتربيتها وتهذيبها، وهذا من مهمات البازدارية. وعليهم ان يعلموا كل ما يختص بالجوارح التي في حيازتهم كما وصف ذلك ابو بكر الاشعرى — مثالا لسائر المؤلفين — في كتابه: مثلا تقديم الطعام للضوارى على طبيعة كل شيء منها، امتحان الضوارى، سياسة الضوارى، التضرية والاجابة، احسن البازى اجابة، ارسال البازى الفرخ وتجسيره على الصيد، تدبير البازى اذا قل حرصه على الصيد، تجسير البازى على عظام الطير... تدبير البازى اذا قرنص، اضمار الطير بعد خروجه، معرفة صحة الطير، دلائل امراض الطير وسائره وسائره.

وعد الامبراطور فريدرك صفات البازدار في مقدمة الكتاب الثاني لرسالته المذكورة، وايضا في الباب السابع والاربعين





تهذيب الصقور

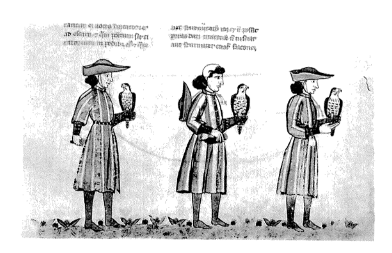
عن كتاب كارل ا. ڤيلمسن: "Kaiser Friedrichs des Zweiten „Über die Kunst mit Vögeln zu jagen“
دار نشر اينزل، فرانكفورت على الماين ١٩٦٤، نشكر دار النشر لتصريحها الكريم بنشر هذه اللوحة وانعم علينا بالكليشه.

من هذا الكتاب وقال انه على البازدار مهمات كثيرة مختلفة الانواع ، منها ان يهذب جوارحه ادق تهذيب الى ان تبقى معه وتفقد خوفها الجبلى من الانسان ، وان يعلمها صيد الطيور التى اختار هو ، لا غير وهذا لا يسهل لانه ضد ميلها الطبيعى . ولذلك يتطلب من البازدار ان يكون حائزا على كثير من الصفات المحمودة ؛ ان يكون متوسط القامة لا بطويل ولا بنحيف ولا بسمين ، ذكرا عاقلا ، صبورا غاية الصبر ، ذا ذاكرة قوية يتذكر اخلاق بزاته المختلفة ، بصيرا يرى صقوره ولا يفقدها ، ذا سمع دقيق يدرك اصوات الطيور وصوت الجرس الذى فى رجل بازه ، ذا صوت عال تسمع البزاة صوته من بعيد، خفيف الحركة ، متيقظا ، جسورا ، يستطيع السباحة ، ولا يؤخذ الشاب لهذه الوظيفة بل الرجل الكاهل لان الشاب قليل الصبر لا يحب الا الصيد الموفق وربما لا يبالى بالنظام المقرر لتهذيب الصقور . ومن صفاته المطلوبة أن يكتفى بالنوم القليل ولا يستسلم للنعاس ، لانه يفتش على الجوارح فى الليل وينهض من السبات قبل السحر – وهذا ما نقرأه ايضا فى الاشعار اذ وصف ابن المعتز الصيد :

قد اغتدى او باكرا باسحار
ونحن فى جلباب ليل كالقار...

ولا يكن البازدار مغرما للاكل والتهام الاطعمة اللذيذة ، ولا سكيرا مدمنا على الخمر – لان الخمر تنسيه الاعتناء بالضوارى – ولا صاحب حدة ولا غضوبا اوكسلان او مهملا اشغاله .

هذا ما طلبه الامبراطور الالمانى من بزادرته !



عن كتاب كارل ا. ڤيلمسن:
Kaiser Friedrichs des Zweiten „Über die Kunst mit Vögeln zu jagen“، دار نشر اينزل، فرانكفورت على الماين ١٩٦٤، نشكر دار النشر لتصريحها الكريم بنشر هذه اللوحة.



باز ، صوره ب. ر. ديتشين سنة ١٧٦٧ وحفر هذا التصوير على النحاس ى. ا. ايسنمان فى مدينة نورنبرج فى القرن الثامن عشر.
ماخوذ عن كتاب جورج ڤولفجانج كنور Delices de la Nature, G. W. Knorr

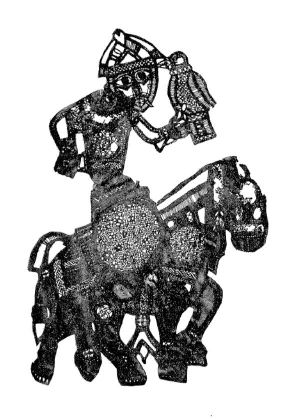
ومن اهم ما نستنتجه من رسالته هو دور العرب فى تعليم البزاة وبالخاصة بادخالهم غشاء الباز . وكان اهل الغرب يغلقون عينى الباز المحبوس قبل ان يربوه ، ويخيطون اجفانه بابر وخائط لئلا يرى وجه الانسان ، وبعد ان يتم تهذيب الباز يفتحون له عينيه فيرى كل ما فى العالم . وقال الامبراطور فى الباب السابع والسبعين من كتابه :

«ان غشاء الباز من مخترعات اهل الشرق وعمل بها اولا — على ما كان معلوما عندنا — العرب . ونحن ، لما سافرنا عبر البحر ، رأينا استعماله ودرسنا طريقة وضعهم هذا الغشاء على رؤوس البزاة . واما ملوك العرب فلم يكتفوا باهدائهم لنا انواع البزاة فحسب بل ارسلوا معها البزادرة الذين يعتبرون اختصاصيين فى استعمال الغشاء . واننا منذ اول عزمنا على كتابة رسالة كاملة فى البيزرة ادخلنا — مزيدا على منابع العلم المذكور — ضوارى ورجال ماهرين فى هذه الصنعة جاء بعضهم من بلاد العرب وبعضهم الأخر من سائر البلدان ، وحصلنا منهم على كل ما عرفوا من علم . ولما كان استعمال الغشاء افضل ما كان لديهم من مناهج التهذيب قيمة ولما شاهدنا فائدته العظيمة فى تربية الصقور ، اتخذناه لبزاتنا واستحسناه حتى ان معاصرينا اخذوا منا طريقة استعماله» .

ومعنى ذلك ان العرب هم الذين بدأوا بهذا المنهاج المفيد الذى حل فى القرون الوسطى محل المنهاج القديم ، يعنى اغلاق عينى الباز لمدة تدجينه .

ونعلم ان رسالة لابن سينا فى علوم الطبيعة ترجمها ميخائيل سكوت فى زمان الامبراطور فريدرك الثانى ويغلب الظن انه قام بهذه الترجمة بامر فريدرك ، وترجم دانيال الكريمونى رسالة عربية فى البيزرة لولد هذا الامبراطور الذى وصفه الشاعر الالمانى ريلكه فى احد اشعاره كيف أملى رسالته فى البيزرة وكيف كان يصرف اكثر اوقاته فى تهذيب الباز الوحشى الجميل حتى ان قلبه كان يطير مع البزاة اذا خرجت للصيد .

وذكر مؤلفو العرب الملوك الذين اتخذوا لهم انواع الجوارح للصيد ، وقال ابن منقلى ان اول من صاد بالبازى ملك الروم وذلك انه رأى بازا اذ اعلاه كفف واذ اسفل خفق واذا اراد ان يسمو درق فاتبعه حتى وقع على شجرة فأعجبته صورته فقال هذا طائر له سلاح يزين به الملوك فأمر بجمع عدة من البزاة وجعلت فى مجلسه ، فعرض لبعضها طير فوثب عليه فقتله فقال هذا ملك يغضب كما تغضب الملوك .. وقالوا ان اول من صاد بالشاهين قسطنطين ملك الروم



بازدار . من «قرقوز» ، صنع فى تركيا . محفوظ فى المتحف الاسلامى ببرلين الذى صرح لهذه المجلة بنشر هذه الصورة .

وكانت الشواهين قد ربطت له وعلمت ان تحوم على رأسه لتظله من الشمس وتنحدر مرة وترتفع اخرى الى ان ركب يوما فثار طائر من الارض فانقض عليه شاهين فاعجب الملك ذلك فضراه على الصيد . وقال ابن عفير كانت ملوك العرب اذا ركبت فى مواكبها طيروا الشواهين فوق رؤوسهم وكان ذلك عندهم هو الرتبة العظيمة .

ولا شك ان الروم اول من الف رسائل فى البيزرة وأخذ العرب عنها اشياء مهمة . واضاف المؤلف قائلا :

واول من اصطاد باليوئيو بهرام جور الايرانى ؛ اى ان الصيد لهذا الطير مخصوص بالايرانيين . واول من ولع بالعقاب اهل المغرب . وقيل ان قيصر اهدى الى كسرى عقابا وكتب اليه علمها فانها تعمل عملا اكثر من الصقور التى اعجبتك .

ونرى من ذلك انه قبل ان قام الامبراطور فريدرك بتأليف رسالته فى النصف الاول من القرن الثالث عشر كان اجداده من الملوك قد اشتغلوا بهذه الصنعة الاصيلة . وقد مضى

ذكر ملكة برتا ، وكان شارلمان معاصر هارون الرشيد قد نشر قانونا امر فيه بحماية البيزرة ، وكان الملك هنرى الرابع (المتوفى سنة ١١٠٦) وكذلك الملك فريدرك باربار وسا (ابو اللحية الحمراء المتوفى ١١٩٠ فى اثناء الحروب الصليبية) يحبان البزاة والبيزرة ؛ ونجد اسماء فيليب اوجوست الملك الفرانسى (المتوفى ١٢٢٣) وهو مخالف لفريدرك الثانى وصديقه ؛ ورأت البيزرة رواجا فى انجلترا حيث اعتنى بها الملك ادوارد الثالث (المتوفى ١٣٧٧) حتى ان راهبة ، رئيسة دير ، اسمها يوليانا برنيه (المتوفية ١٤٨٥) الفت رسالة فى البيزرة ! ولا ننس ذكر اسم شارل الخامس الامبراطور العظيم (المتوفى ١٥٥٨) فى قائمة الذين عملوا بهذه الصنعة. ونجد الى الآن فى المانيا فى جوار كثير من المدن الصغيرة التى كانت فيها قبل مساكن للامراء والاساقفة قصيرات تسمى بفازانرى اى «محل التدرج» بمعنى «مطعم الطير» وكان اهل الرياسة يجتمعون هناك للصيد بالجوارح . ونشر طبع الترجمة الالمانية لكتاب «صنعة الصيد بواسطة الجوارح» تأليف فريدرك الثانى فى سنة ١٧٥٦ فى مدينة انسباخ على امر اميرها المشغوف بالبيزرة. ويروى لنا عن قرية صغيرة فى بلاد الفلمنك اسمها فالكنفرت اى تل البزاة وكانت مركزا للبيزرة فى اوروبا لمدى قرون طويلة ، اختص اهلها بالقبض على البزاة وتهذيبها . ولم تزل البيزرة تلعب دورًا حتى فى عهد الطيارات النفاثة ، فانه من المعلوم ان بعض المطارات القريبة من البحور والمحيطات تتجمهر فيها اسراب الطيور وبالخاصة اسراب النورز ، وهى ربما تلحق بالطائرات اضرارا اذا اصدمت بها ، وقد تسبب هذه الصدمات اضرار بالغة على الطائرات فكلف مصاريف تصليحها مايقرب من عشرة ملايين من الماركات فى ثلاث سنوات . ولذلك اوصت الحكومة الكندية احد المتخصصين بالبيزرة بتهذيب اربعة بزاة ، فرباها ، وطيرها على اسراب النورز فى بعض المطارات فى كندا ، ويتحير السائح اذا شاهد رجلا على يده باز مغشى الرأس ! فأذا أقترب هذ الطير الجارح من النورز تخاف منه وتهرب وقد انصرف كثير منها عن المطارات بعد ذلك.

اما فى الشرق فكانت للبيزرة اهمية اكبر منها فى الغرب . فبلغت فى دور الخليفة العباسى المتوكل نفقات ارزاق الكلابزيين والبازدارية والفهادين خمس مئة الف درهم فى السنة . وحكى السياح البندقى المشهور ماركو پولو انه لما جاء لزيارة الخاقان قوبلاى خان سنة ١٢٩٠ رأى ما يقرب من عشرة آلاف من البازدارية او ما يشبههم ، وكان لكل باز يملكه الخاقان او امير من امرائه لوحة صغيرة فضية فى رجله عليها مكتوب اسم صاحبه . وقيل لما سئل اولاد قوبلاى خان : اين تجدوا كمال اللذة اجابوا : فى الصيد وتطيير البزاة . اما غازان خان خاقان المغول فى ايران فكتب المؤرخ رشيد الدين انه اخرج نظاماً جديداً لاهل الصيد والبيزرة لانهم قد ازدادوا شقاوة وظلما فقطع نفقاتهم وامرهم بأن يرسلوا من الولايات الايرانية الف باز مهذب وثلاثمئة فهد الى مراكز الحكومة . ويدل على حب المغول والاتراك للبيزرة والصقور ايضا اسمائهم وكثيرا ما نجد فيهم من سموه باسم طير جارح ، مثلا سنقر ، اق سنغر (السنقر الاشهب) ، لاجين ، بلبان ، طغرل ومثل ذلك .

وصور احد الرسامين الامير باى سنقر التيمورى يحمل الباز وقال فيه الشاعر انه يحمله لكى يصطاد قلب العالم (تا دل عالمى شكار كند) . ومن تأخذه الدهشة لعظم هذا العدد من الجوارح التى تخص على حسب وصف ماركو پولو ورشيد الدين لملك واحد ، فليقرأ ما كتب الملك كى كاوس بن اسكندر الزيارى ، امير جرجان ، فى قابوس نامه الذى الفه لولده المحبوب سنة ١٠٨٣/٤٧٥.

وقال فى الباب الثامن عشر «من الصيد» ان الامير يصيد بالبزاة والشواهين والصقور ، وانه من عادات ملوك خراسان الا يحملوا الباز على ايديهم اما ملوك العراق والامراء هناك فهم يحملون الباز بانفسهم . ويظن الملك كى كاوس انه يليق بالملك ان يحمل ويطير بازيا ، ولكنه لا يطيره الا مرة واحدة ثم يأخذ بازيا اخر .

وهذا القابوس نامه من اشهر الكتب الفارسية القديمة ترجمه المستشرق الالمانى ه.ف. فون ديتس ، صديق شاعرنا الكبير جويته ، الى الالمانية سنة ١٨١١ ، ونشر بعد ذلك بسنين مستشرق نمساوى ، يوسف فون هامر بورجستال ، كتابا جامعا لثلاث رسائل فى البيزرة ، اسمه Falknerklee اى «برسيم البزادرة» .

اما سلاطين مصر فى عهد المماليك فانهم ثابروا على الاهتمام بالبيزرة ، ونجد عندهم امير اخور كبير وهو من اجلّ

◀ قطعة من الحرير ، موطنها ايران ، نسجت اثناء القرن الثانى عشر ، وهى مزينة باشكال فوارس فى مواجهة بعضهم يحملون البزاة على ايديهم ؛ وتحتوى الكتابة على دعاء مأثور عن على بن ابى طالب وهو : «الهى انت ذو فضل ومن ، فانى ذو خطايا فاعف عنّى».

عن فهرست معرض «٧٠٠٠ سنة من الصنعة فى ايران» الذى اقيم اولا فى مدينة ايسن سنة ١٩٦٢ .



باشد ونحت کشته بکشاید ودزد نشود وشربت ساز کرده خور اله خشک کرده با اهلیلج بسایند
ودر حرب چشم کند نیک شود بیضه او را با زیت گرم کرده کرده اند ودر نقرس واوجع مفاصل با ایذا می که درد کند
بالدنا نافع باشد مغز او را با انگبین وصبر آمیخته کرده اند ودر زیر بشره ما ریشها دیکر طلی کنند نافع باشد

صورت باز وخاصیت او

وطبیعت باز آنست که خود را دارو کند وبیشتر ماده باشد ونر جنسی است که او را زرّ ورخواند دوزد



صورة باز، من نسخة كتاب «منافع الحيوان» لابن بخت عيشو التي نسخت عام ١٢٩٦ في مدينة مراغة (ايران)، وهي محفوظة الآن في نيويورك.

الامراء المقدمى الف فى ذلك الوقت وكان تحت امره امير شكار وهو فى رتبة «امير عشرة» وحارس الطير، ومن المماليك الصغار من لقب بالبزادرة وهم «الصبيان الذين يحملون الطيور على ايديهم»؛ وكاشف الطير والحواندار وهو الذى يطعمها؛ وكان السلطان احيانا يزور مطعم الطير الذى بالريدانية «وأطعمت طيور الصيد بحضرته على العادة» او «اطلقوا قدامه الكلاب والصقورة والفهودة وانشرح فى ذلك اليوم» (سنة ١٥١٢/٩١٨) ولكن ذلك ما كان «الا لاقتفاء العادة لان الطير والوحش التى اصيدت كلاهما كان مع امراء شكار.»

وكان سلاطين المغولية فى الهند مغرمون بالبيزرة الى حد كبير حتى انهم جعلوا الرسامين يصورون صور صقورهم المحبوبة، وفى كثير من اللوحات اللطيفة نرى رسوما للسلطان اولامير او اميرة وعلى يدهم باز؛ وصنف المؤلفون فى عهد المغول من الرسائل باللغة الفارسية والاردوية ما استرعى انتباه اهل الغرب، منها «بازنامه» لتمور ميرزا، ومثله ليار محمد خان، وتأليف مهم فى هذا الموضوع لحدايار خان طبعوه فى الهند قبل عصر واحد، وهناك كتب اخرى فى المكاتب الخاصة فى بلاد الهند والسند.

ومن الطبيعى ان هذه الجوارح النجيبة اصبحت امثال الكبر والقوة عند الشعراء فى الغرب والشرق وضربت بها الامثال، منها ما يذكر محمد بن منقلى الفقيهى فى «مناهج السرور والرشاد»: «اذا لم يتبعك البازى فانتف ريشه» و«لا يفزع البازى من صياح الكركى» وكان هذان المثلان من امثال المولدين لا العرب العرباء على ما قال.

وشكى الشاعر من جفاء الدهر قائلا

وكل باز يمسه هرم
يجرى على رأسه العصافير



لوحة من كتاب كليله و دمنه لابن المقفع،
عن مخطوطة نسخت حوالى سنة ١٢٣٠ فى بغداد، وهى محفوظة فى المكتبة الملية فى باريس.

وصدق من قال فى حال الشيخوخة والعجز :

وكنت كباز الجو قصّ جناحه
يرى حسرات كلما طار طائر
يرى طائرات الجو تخفض حوله
فيذكر اذ ريش الجناحين وافر

ولكنهم فى اكثر الابيات والامثال يمدحون الباز وشرفه ، وبالخاصة الباز الاشهب او «الكافورى» كما يسمى فى الهند . ونسبوا مدح هذا الطائر الى ملوك الماضى والفلاسفة الغابرين كما كتب ابو بكر الاشعرى فى كتابه «الجوارح وعلم البزدرة» انه قال كسرى انوشروان : البازى رفيق حسن لا يأخذ الا فى وقت الفرض . وقال قيصر : البازى ملك كريم ان جاع اخذ وان استغنى ترك . وقال الفلاسفة : «حسبك من البازى سرعته فى الطلب وقوته فى الريق ...»

وقال ابن منقلى الفقيهى فى كتابه المذكور «انه من شرف البازى انه صنف فيه ولقب به الامام الجليل احد الفقهاء المشهورين ابو العباس بن سريج فقيل فيه الباز الاشهب وناهيك بهذا التنويه ومما ينوه بذلك بل ابلغ من الاول قول سيدنا الشيخ العارف بالله تعالى عبد القادر الجيلانى :

انا بلبل الافراح املأ دوحها
طربا وفى العلباء باز اشهب »

وكان الشيخ عبد القادر — كما حكى الدميرى — دخل على الشيخ حماد الدباس يزوره فنظر اليه الشيخ وكان قد رأى انه قد اصطاد بازيا فأثرت نظرة الشيخ فيه فخرج من عنده وتجرد عن اسبابه وكان من اكابر اصحابه . ولقب الشيخ عبد القادر الى الآن «الباز الاشهب» عند اهل طريقته .



قرود يصطادون بالبزاة.
نسيج فلمنكي من القرن السادس عشر، محفوظ فى متحف مدينة ارنشتاد، باقليم تورينجن.

تصوير: فوتو روهه، ارنشتاد Foto-Ruhe, Arnstadt. نشكر ادارة المتحف فى ارنشتاد لتصريحها الكريم بنشر هذه الصورة.

والباز هو الطير الحر الذى يريد الطيران فى الفضاء ، ولذلك اخذه شاعر المانى فى وسط القرن الثانى عشر مثالا للحبيب الذى يترك محبوبته وقال على لسان آمرأة منتظرة عودة معشوقها :

ربيت لى بازيا اكثر من سنة
وزينت جناحيه بشرائط من ذهب
فحلق فى الفضاء طـائرا لم يعد يرجع …

ويختم الشعر بالدعاء :

ليت الله يجمع بين المشتاقين المتلهفين الى اللقاء !

وفى الشعر الفارسى والتركى ، وبالخاصة فى اشعار المتصوفة ، يعبر البازى عن الروح الحرة التى كانت محبوسة عند عجوزة وهى الدنيا ، والطير السلطانى يشتاق الى حضور السلطان ويطير الى يده عندما يسمع صوت الطبل . وهذا التشبيه قديم جدا ، لأن الاقوام الابتدائية واهل مصر القديمة كانوا يشبهون الروح بطير يترك الجسد وقت الموت ؛ ومما لاشك فيه ان هذا الرمز أثر على تشبيه الروح القدس بالحمامة فى الرموز المسيحية . ونقرأ فى الادب الجاهلى كذلك ان الطير له علاقة بروح الميت ويذكر الشعراء الهامة اى طير يطير حيث سفكت الدماء ، حتى اننا نجد فى حديث مشهور وصف مقام الشهداء الذين تبقى ارواحهم فى اجواف طيور خضراء .

وان لهذا التشبيه علاقة بحكاية الورد والعندليب فى الاشعار، وليست هذه الحكاية الا تعبيرا عن العشق الازلى بين الروح الانسانية التى هى العندليب النواحة وبين الجمال المطلق الذى يظهر فى شكل الورد الجميلة . ومن المعلوم ان هذا التشبيه كثير الاستعمال فى الادب الفارسى والتركى ؛ ونجد الشعراء كذلك يشبهون الانسان بالبط الذى نصفه مربوط بالارض ونصفه بالبحر اى بعالم الروح . ولم يزل الشعراء يعبرون عن اشتياق الروح المحبوسة فى البدن الى الحرية ويشبهونها بالطير فى القفص . والمثال المشهور لهذا التشبيه هو كتاب منطق الطير لفريد الدين عطار الذى يصف سياحة الطيور الثلاثين الى جبل قاف حيث تسكن العنقاء ، وهى بالفارسية سيمرغ ، وتدرك الطيور الثلاثون (وهم بالفارسية «سى مرغ») بانهم انفسهم سيمرغ ، اى أن الارواح الافراد فى اصلها متحدة بالذات الالهية . وقال عطار فى احد ابواب شعره هذا ان الباز كان كثير الافتخار حتى انه لم يرد السفر الى جبل قاف لانه لا يحب الخضوع الا لسلطانه .

«ومن شرف البازى ان الملوك تحمله على ايديهم» هكذا قال ابن منقلى . ولذلك يود الشعراء ان يصفوا الباز جالساً على ساعد سلطانه . وقال يونس امره المتصوف التركى فى ذلك :

كان يونس بازيا ، جلس على ساعد طابدق
(وهذا اسم شيخه)

وفى بيت اخر له :

عاد طار طير روحى
جلس على ساعد الملك يتكلم به الاسرار .

لان الشيخ تمثل بسليمان النبى الذى كان يعرف منطق الطير . واستعمل مولانا الرومى هذا المثال فى كثير من اشعاره حيث يصف بألطف التعابير شوق الباز الروحانى المحبوس فى ظلمات الدنيا الى الطيران بالفضاء ، فقد غلب عليه حرصه وطمعه فوقع فى الفخ فأصبح كالاسير فى غرفة ضيقة ، على رأسه غشاء (وهو غشاء الحرص الذى يغلق عينيه) ؛ او انه كالمريض فى وسط جماعة من الغربان التى لا تفهم اشتياقه الى وطنه الاصلى ؛ وان رفع الغشاء عن عينيه وسمع صوت الطبل السلطانى يوم الرحيل رجع الى سلطانه ؛ حتى ان مولانا الرومى قال فى بيت له ان الباز يسمى بازاً لانه يرجع (بالفارسية : باز آيد) الى ساعد السلطان .

وفى بعض الاشعار نرى الباز كمثال السطوة ، لذلك يشبه الشاعر نظرة العين القاتلة بالشاهين ، او يصف جذبة الوجد بباز يقبض على الطائر ويحمله الى السماء ، ونجد ايضا التعبير «باز الاجل» الذى يسلب الروح من الانسان ، ومن الطبيعى ان مولانا الرومى وصف «باز العشق» الذى قبض على قلبه المجروح وطاربه الى اللانهائية .

كل ذلك يشير الى شرف الجوارح بالعموم والبزاة بالخاصة ، وذكرنا ذلك الشيخ الذى لاقيناه وسط حشر كبير فى مدينة برلين حاملا بازه على يده بأن ملوك الشرق والغرب كانوا يحملون بزاتهم وصقورهم كذلك ، وان اهل البيزرة الذين قد تعلموا الحلم والصبر وحسن النية عند تهذيبهم الجوارح كانوا كذلك يهذبون قلوب امراء العرب والعجم ، حتى صار حب البيزرة من صميم الروابط بين الشرق والغرب فى القرون الوسطى لان كل من اشتغل بهذه الصنعة فهم معنى المصراع المشهور

وهل ينهض البازى بغير جناح

«الذى يقال فى الحث على التعاون والوفاق» .



لماكانت البيزرة من اجل الهوايات التى كانت تشغل الامراء والملوك فى الغرب فليس من العجب ان نجد تصاوير كبار القوم وهم يحملون الصقور، حتى ان بعض الرسامين قاموا بتصوير اولياء الكنيسة المسيحية ببزاتهم علامة على ترفعهم (مثلا القديسة ماجدلين فى لوحة مذبح فلمنكى من القرن السادس عشر) وقد صور الرسام الشهير رمبراند فى سنة ١٦٤٣ رجلا يحمل بازه على يده كما صور نفسه فى حفر على النحاس فى شكل بازدار.

من اشهر هذه المشاهد التصويرية لوحة روبرت شيزمان، بازدار الملك هانرى السابع الانجليزى، صوره هانس هولباين Hans Holbein فى سنة ١٥٣٣؛ وهى محفوظة فى متحف مورتنسهوس فى لاهاى، هولاندا

تصوير: هانفستنجل – شيرودون Hanfstaengl-Giraudon.

كثير من المعلومات مأخوذة عن كتاب ابى بكر بن حسن القاسمى العلوى: كتاب الجوارح وعلم البزدرة (مخطوطة باريس، المكتبة الملية ٢٨٣١) وكتاب مناهيج السرور والرشاد، لمحمد بن منقلى الفقهى (مخطوطة باريس المكتبة الملية، ٢٨٣٤)

ارجع ايضا بكتاب البيزرة تاليف بازيار العزيز بالله الفاطمى ابى عبد الله الحسن بن الحسين، نشر محمد كرد على (دمشق ١٩٥٣)

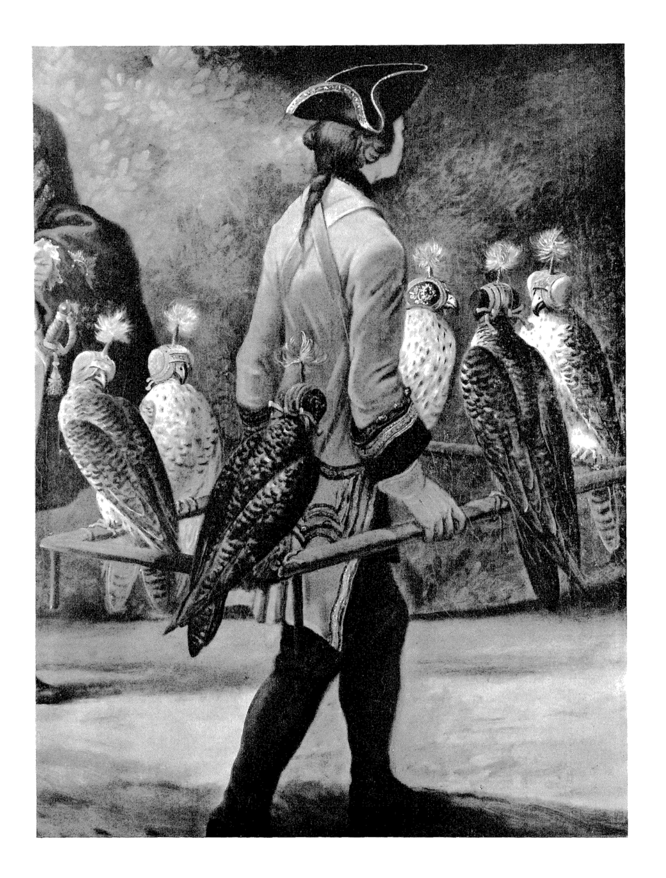
اما فى المانيا فينشر الدكتور والتر شلوتر بمدينة دورتموند مجلة مخصوصة للبيزرة:

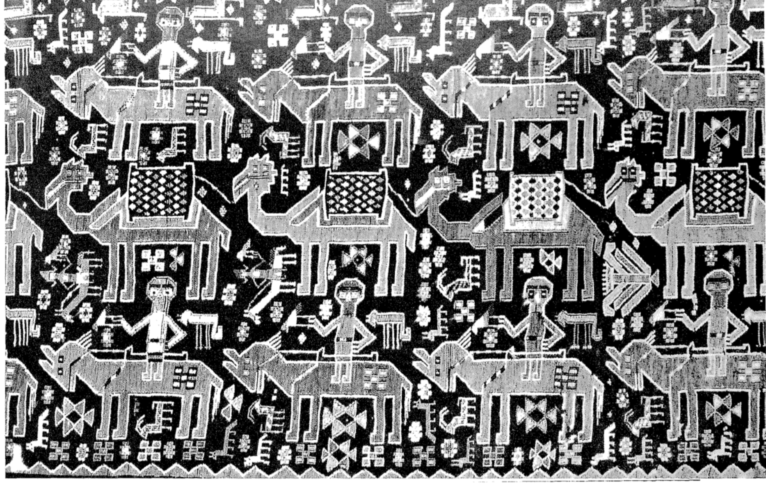
Dr. Ing. Dr. rer. pol. Walter Schlüter, Dortmund: Deutscher Falkenorden.

احد البزادرة

لوحة ى. هاينريش تيشباين J. H. Tischbein من قصر فازانرى فى جوار مدينة فولدا.

تصوير: هانس ريتسلاف، تان فى جبل رون Hans Retzlaff, Tann/Rhön





كليم مطرزة عليه مشاهد لصفوف الفوارس وبزاتها، وهوقد نسج فى القرن التاسع عشر فى الاناضول.
نشكر ادارة الشعبة الاسلامية فى المتاحف الدولية فى برلين لتصريحها الكريم بنشر هذه الصورة.

al-Scharīf al-Fidschīdschī

Wen nicht der Lenz bewegt und seine Blüten
Und nicht die Laute, wenn sie süß geschlagen,
Wer unbeeindruckt von Musik und Tänzen,
Und wen der Habicht nicht entzückt beim Jagen...
Und wer nicht bebt, sieht Trappen stolz er wandelnd
Und über ihnen Falken steigend ragen
— Sie tanzen, werfen huldigend sich nieder,
Die Flügel schüttelnd, schmelzend bald vor Zagen —,
Und wer nie Leidenschaft und Wunsch erfahren
Und nicht die Qual des Herzens, seine Klagen:
Der ist gewißlich gänzlich unnormal
Und scheint des Esels Naturell zu tragen!

الشريف الفجيجى

فمن لم يحركه الربيع وزهره
ولا العود حين تعتريه الاصابع
ولم يتأثر بالسماع ونحوه
ولم يستمله الصقر اذ هو دافع ...
ولا اهتز اذ رأى الحبارى بدت له
تميس وفوقها البزات طوالع
فيرقصن طوراً ثم تبدى ذوائبا
وتؤمى بكميها وطوراً تبايع
ولم يدر قط ما الغرام وما الهوى
ولا موجعات القلب اذ يتوجع
فذاك مختل المزاج حقيقة
ولا شك للحمار فيه طبائع

Rat des Falken an sein Junges.

Du weißt, daß Falken eines Stammes sind:
Ein Löwenherz in Handvoll Federn, Kind!
Sei wohlgewandt, laß die Entschlüsse reifen,
Sei kühn und eifrig und mit langem Greifen!
Misch nicht mit Rebhuhn dich, Spatz und Fasan—
Es sei, du legtest auf die Jagd es an.
Welch Volk von niedrer, furchtsamer Gebärde:
Sie reinigen den Schnabel sich mit Erde.
Der Habicht wurde Beute seiner Beute,
Weil er, sie nachzuahmen, sich nicht scheute.
Wie mancher Jagdfalk, ach, sank tot aufs Land,
Weil er mit Körnerfressern sich verband!
Schau auf dich selbst und lebe froh zufrieden,
Beherzt und tapfer, mutig leb hinieden!
. . .
Such nicht, wie Schaf und Reh, der Menge Bahnen;
Leb in der Einsamkeit, wie deine Ahnen!
So halte ich's vom alten Falken fest:
Bau nicht an eines Baumes Zweig dein Nest!
Wir nisten nicht im Garten, nicht im Feld,
In Berg und Wüste, dort ist unsre Welt.
Falsch wär's, aus dieser Erde Korn zu ernten,
Gab Gott uns doch die Himmel, die entfernten!
Ein Edler, der den Fuß im Staube reibt,
Noch minder als gefangner Vogel bleibt.
Dem Falkenfuß scheint Stein ein Teppich zart —
Auf Stein zu gehen, macht zum Kampf dich hart.
Du, aus der Wüste gelbem Aug' geboren,
Hast doch des Phönix Wesen dir erkoren.
Du edler Jüngling, der im Kampf beweist,
Aus Panthers Auge die Pupille reißt!
In deinem Flug der Lichtbewohner Glut,
In deinen Adern weißer Falken Blut!
Iß das, was unterm krummen Himmelszelt
— Sei's hart, sei's weich — dir in die Fänge fällt!
Dein Futter nimm aus fremden Händen nie;
Sei gut, und nur der Guten Ratschlag sieht!



پند باز با بچهٔ خویش

تو دانی که بازان زیك جوهر اند
دل شیر دارند و مشت پراند
نکو شیوه وپخته تدبیر باش
جسور وغیور وکلان گیر باش
میامیز با کبك وتورنگ وسار
مگر این که داری هوای شکار
چو قومی فرو مایهٔ ترسناك !
کند پاك منقار خودرا بخاك !
شد آن باشه نخجیر نخجیر خویش
که گیرد ز صید خود آئین وکیش
بسا شکره افتاده بر روی خاك
شد از صحبت دانه‌چینان هلاك
نگه دار خودرا و خورسند زی
دلیر ودرشت و تنو مند زی ...
مجو انجمن مثل آهو ومیش
بخلوت گرا چون نیاگان خویش
چنین یاد دارم ز بازان پیر
نشیمن بشاخ درختی مگیر
کنامی نگیریم در باغ وکشت
که داریم درکوه وصحرا بهشت
ز روی زمین دانه چیدن خطاست
که پهنائی گردون خداداد ماست
نجیبی که پا بر زمین سوده است
ز مرغ سرا سفله تر بوده است
پیٔ شاهبازان بساط است سنگ
که بر سنگ رفتن کند تیز چنگ
تو از زر وچشمان صحراستی
بگوهر چو سیمرغ والاستی
جوانی اصیلی که در روز جنگ
برد مردمك را از چشم پلنگ
به پرواز تو سطوت نوریان
به رگهای تو خون کافوریان
ته چرخ گردندهٔ کوز پشت
بخور آنچه گیری ز نرم و درشت
ز دست کسی طعمهٔ خود مگیر
نکو باش وپند نکویان پذیر !

Am Himmel erschien mir ein Mond in dämmernden Morgenzeiten,
Vom Himmel kam er herab und starrte auf mich, den Geweihten:
Ein Falke, der während der Jagd den Vogel ergreift und ihn forträgt,
So trug er mich aus mir hinweg, um über den Himmel zu gleiten. . . .

Wie sollte die Seele nicht fliegen, wenn aus Seiner Nähe es singt
Und lieblich der Spruch Seiner Gnade „Erhebe dich!“ vor ihr erklingt?
Wie sollte der Falke zum Sultan nicht eilen geschwind von der Jagd,
Sobald ihm die Trommel des Herrschers den Ruf „Kehr zurück zu mir!“ bringt?
Nun fliege, nun fliege, du Vogel, zu deinem ureigenen Stoff:
Vom Käfig bist du befreiet, gebreitet dein Federkleid blinkt! . . .

Am Ende bist du entschwunden und ins Verborgene gegangen —
O Wunder, auf welchem Wege bist du aus der Welt gegangen!
Du hast die Schwingen gerühret und deinen Käfig zerbrochen,
Und bist, in die Lüfte dich schwingend, den Weg der Seele gegangen.
Du warest ein kostbarer Jagdfalk, bei einer Alten gefangen —
Du hörtest die Falkentrommel und bist in die Freiheit gegangen.
Die trunkene Nachtigall warst du im Kreise der krächzenden Eulen —
Vom Rosenhag kamen die Düfte: da bist du zum Garten gegangen . . . .

بر چرخ سحرگاه يكى ماه عيان شد
وز چرخ بزير آمد و بر ما نگران شد
چون باز كه بربايد مرغى بگه صيد
بربود مرا آن مه وبر چرخ روان شد

جگونه بر نپرد جان چو از جناب جلال
خطاب لطف چو شكر بجان رسد كه تعال
چرا ز صيد نپرد بسوى سلطان باز
چو بشنود خبر ارجعى زطبل ودوال
بپر بپر هله اى مرغ سوى معدن خويش
كه از قفس برهيدى وباز شد پر وبال

بعاقبت ببريدى ودر نهان رفتى
عجب عجب بكدامين ره از جهان رفتى
بسى زدى پر وبال وقفس در اشكستى
هوا گرفتى وسوى جهان جان رفتى
تو باز خاص بدى در وثاق پير زن
چو طبل باز شنيدى بلا مكان رفتى
بدى تو بلبل مستى ميانۀ جغدان
رسيد بوى گلستان بگلستان رفتى



Über Falken

… er schreckt die Jagd mit einem Falken mond-weiß:
Als trage er ein Panzerhemd mit Knöpfen;
Mit Augen, die den Augenrand erhitzen;
Der Schnabel dolchgleich, mit gespaltner Spitze
— Du meinst, er sei mit Safran eingerieben —,
Mit einem Schädel gleich dem runden Steine,
Mit der Pupille, eng, mit weißen Flecken,
Als sei's ein Pergament geheimer Zeilen,
Und einem Schwanz gleich dem geschärften Säbel,
Mit Klauen, reißend, was sie nicht zerbrechen:
Der legte seinen Flügel auf den Handschuh,
Den roten, wie ein aufgerollter Ärmel….

… ويذعر الصيد بباز اقمر
كأنه في جوشن مزرّر
ذى مقلة تسرج فوق المحجر
ومنسر عضب الشبا كالخنجر
تخاله مضمّخا بالعصفر
وهامـةٍ كالحجر المـدور
وجؤجؤ منمنم محبّر
كأنه رق خفى الاسطر
وذنب كالمنصل المذكّر
وقبضة تفصل ان لم تكسر
قلص فوق الدستبان الاحمر
جناحه كردنة المشمر

كأنه لما غدا والصبح لم ينبلج
قائد جيش جحفل سار لقبض المهج
فجسمه من فضة ودرعه من سبج

Als sei er morgens, noch bevor das Frühlicht dämmert,
Der Führer eines Heers, zum Herzblut-Rauben ziehend:
Sein Leib aus Silber hell, sein Panzer schwarz gehämmert.



وفتيان غدوا والليل داج
وضوء الصبح متهم الورود
كأن بزاتهم أمراء جيش
على اكتافهم صدأ الحديد

Jünglinge, früh erwacht (die Nacht noch dunkel,
Man ahnt, bald steigt das Morgenlicht im Ost):
Als wären ihre Falken Heeresfürsten,
Auf ihren Schultern Eisen voller Rost.

كثيراً ما نجد فى الفنون الاسلامية (من القرن‌الرابع عشر الى القرن التاسع‌عشر) لوحات تمثل ملكا واحيانا ملكة تحمل الصقر على يدها ونجد فى هذا الصدد انواعا ثلاثة رئيسية لهذه المشاهد: اولها يصور الحاكم (كتيمورلنك) وهو يتمطى فرسه وتعدو خلفه الكلاب والفهود، ثانيها يصوره فى جلسته يحف به الاشراف وعلى يده باز ثمين (وهى الطريقة التى كان يفضلها السلاطين المغوليون فى الهند)، وثالثها انه يقوم كأنه فى انتظار اهل الصيد.
لوحة منياتور لاميرة هندية، حول عام ١٨٠٠، محفوظة فى المتحف الملى فى دهلى.

وتذكرنا هذه اللوحة بمثال المانى يرجع الى القرون الوسطى تقول كلماته
انه من السهل تهذيب النساء والصقور فهى تطيع من يجيد اغراءها.

Frauen und Falken, die lassen sich leicht zähmen:
wer sie richtig lockt — so kommen sie dem Mann
entgegen.

وقالوا فى ذلك العصر فى النساء والبزاة كثيرا من الاشعار يصفون فيها اشتياق المرأة المشتاقة الى عودة معشوقها.
وقال احدهم على لسان العاشقة:

Ich zog mir einen Falken länger als ein Jahr.
Als ich ihn gezähmt, wie ich ihn haben wollte,
und sein Gefieder mit Gold umwunden hatte,
Hob er sich hoch auf und flog in anderes Land.
Seither sah ich den Falken schön fliegen:
er führte an seinem Fuße seidene Fesseln
und sein Gefieder war ganz rotgolden.
Gott sende sie zusammen, die einander gern liebhaben
wollen!

Der Kürenberger

وقال اخرهم:

Eine Frau sprach: „Mein Falke ist mir entflogen
so weit in fremde Länder.
Drum fürchte ich, den ich lange Zeit gezogen,
den halte fest eine fremde Hand.
Ich habe der Liebe Fessel
ihm allzuweit gelassen:
So brennt die späte Reue wie eine Nessel
Unweigerlich mein Herz."

Heinrich von Murgen

البيزرة على طوابع البريد الصادرة فى مملكة ليختنشتاين، وكانت الصور قد اخذت عن مخطوطة مانيسة (القرن الثالث عشر) المحفوظة فى مكتبة دار الفنون فى هايدلبرج.














تصوير: هانس ريتسلاف، تان في جبل رون Hans Retzlaff, Tann/Rhön

ورقة من تاريخ الاستشراق في المانيا

يوهان يعقوب رايسكه

عن الاستاذ دكتور يوهان فيوك

قام الاستاذ الشهير يوهان فيوك J. Fück فى سنة ١٩٤٣ بوضع موئلف ذى اهمية فائقة عن تأريخ الاستشراق والمستشرقين فى اوروبا من اوائل دراسات اللغة العربية الى القرن التاسع عشر ؛ ثم اتم هذه الرسالة فيما بعد ونشرها فى كتاب عنوانه :

Die arabischen Studien in Europa, Leipzig 1955

نود ان نورد هنا باباً من هذا الكتاب عن اول من جعل علم اللغة العربية علماً ودرساً مستقلا ، وهو يوهان يعقوب رايسكه J. J. Reiske الالمانى (١٧١٦ الى ١٧٧٤) .

كان اول من اعتنى باللغة العربية علماء الكنيسة المسيحية الذين بذلوا جهدهم فى درس لغة المسلمين غير ان هدفهم لم يكن هدفاً علميا بل انهم ارادوا الرد على الاسلام على اساس تراجم لاتينية للقرآن و«اهداء» المسلمين بواسطة تراجم عربية للأنجيل والكتب الاخرى ، اى ان غرضهم كان بعيدا عن تحقيق عادل ودراسة علمية . ولم يتغير هذا الوضع فى بلاد الغرب كلها حتى القرن السادس عشر تقريبا عندما اشتدت الرغبة لدى اهل الغرب فى ارسال المبشرين الى البلاد الإسلامية بعد ان فتح الاتراك مدينة استانبول سنة ١٤٥٣ . ثم اخذ بعض اهل العلم يؤمون الشرق ليحصلوا على مخطوطات عربية من استانبول ودمشق وغيرها من مدن الشرق ولتعلم اللغة العربية فى هذه المنطقة . وكان اول هؤلاء المستشرقين ويلهلم پوستل W. Postel الفرنسى الاصل الذى ارسله ملك فرنسا ، فرانس الاول ، سنة ١٥٣٤ الى مصر ثم الى استانبول حيث تعلم العربية والتركية والعبرانية وقليلا من اللغة الحبشية . ولما رجع پوستل الى وطنه عينه الملك استاذا للغات الشرقية فى جامعة باريس سنة ١٥٣٧ فألف فى تلك السنين كتابا فى النحو العربى اشار فيه الى اهمية اللغة العربية وادبها ولكن امله فى درس هذه اللغة كان فتح باب جديد للمبشرين النصارى فى بلاد الاسلام . ونجد فى كتابه هذا اخطاء بلا عدد ونستدل منه على ان معرفته بالعربية كانت ضعيفة غير كافية مع نشره فى اخر كتابه ترجمة لاتينية لسورة الفاتحة .

اما المخطوطات التى كان پوستل قد اتى بها الى اوروبا فقد باعها الى مكتبة جامعة هايدلبرج عندما وقع فى ضيق مالى وجرى عليه ما جرى من الحوادث الغريبة ؛ واصبحت هذه المخطوطات اساساً مهماً بنيت عليه دراسة اللغات الشرقية فى المانيا فى مهدها . فقام بعض اللاهوتيين بدراسة تراجم الانجيل العربية التى وجدت فى المخطوطات المذكورة ، وكان يعقوب كريستمان Christmann (١٥٥٤ الى ١٦١٣) الذى تعلم اللغة العربية من كتاب النحو لپوستل اول من عرض على الامير يوهان قاسيمير تشكيل كرسى خاص للدراسات الشرقية وبالخاصة العربية فى جامعة هايدلبرج ، وكان ذلك فى عام ١٥٩٠ غير ان هذا الاقتراح لم ينفذ قبل سنة ١٦٠٩ .

مع ان كريستمان ومن تبعه فى المانيا فى ذلك الزمان جعل من دراسته للعربية وسيلة لنشر النصرانية فى الشرق فقد قام فى فرنسا عالم بمنهاج اخر ، وهو يوسف سكاليجر Scaliger (١٥٤٠ الى ١٦٠٩) ، احد تلامذة پوستل . وكان هذا اول من الم بعلم عميق عن مختلف مناهج ضبط التواريخ فى الشرق والغرب وقام بجمع اخبار التقاويم لدى الملل والنحل كما سبقه فى ذلك العالم المتبحر البيرونى فى «كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية» من نحو ستة قرون مضت ، وقارن سكاليجر بين هذه التقاويم حتى انه الم بخصوصية التاريخ الهجرى وكان هذا غير معروف عند اهل الغرب ، ووقف ايضا على التأريخ الجلالى الذى ابدعه الرياضيون فى دولة السلطان ملكشاه السلجوقى (المتوفى ١٠٧٢) . ومن هنا تبدأ الدراسة الحقيقية لتاريخ الاسلام .

وفى هذا العصر ظهرت لاول مرة الحروف العربية فى الطبع فى اوروبا مع كونها غير حسنة الشكل . وازدادت معرفة العلماء بالطب العربى وارتباطهم بهذا العلم الذى كان مشهورا فى الغرب منذ القرون الوسطى على يد التراجم اللاتينية .
اما المملكة التى لعبت دوراً كبيراً فى تطور الدراسة الشرقية فهى هولاندا، وكان تومس اربنيوس Erpenius (١٥٨٤ الى ١٦٢٤) اول من قام بنشر متن مأخوذ من الادب العربى فى اوروبا عندما طبع فى سنة ١٦١٥ «كتاب الامثال» للميدانى ؛ والف ايضا كتاب النحو العربى الذى كان يستعمله كل من اراد درس العربية فى الغرب نحو قرنين اى الى ان نشر سيلفستر دى ساسى S. de Sacy كتابه المشهور فى النحو العربى فى عام ١٨١٠ . واعتنى اربنيوس ايضا بطبع سورة يوسف . إن ما ابتدأ به هذا العالم اتمه خليفته فى جامعة لايدن ، يعقوب جوليوس Golius (١٥٩٦ الى ١٦٦٧) الذى نشر عدداً من الآثار العربية المشهورة ، منها «لامية العجم» للطغرائى و«عجائب المقدور» لابن عربشاه ، وتوج آثاره بتأليف قاموس عربى — لاتينى . زد على هذا انه اشترى فى اثناء سياحته فى سوريا وتركيا نحو ٢٥٠ مخطوطة عربية مازالت محفوظة فى مكتبة لايدن الى الآن ، واضاف اليها فيما بعد وارنر Warner ، احد تلامذة جوليوس ، ما يقارب من الف مخطوطة ذات قيمة ، فاصبحت مدينة لايدن مركزاً لتحصيل العربية فى اوروبا . ومما يدعو للاسف اننا نجد بعد ذلك فى الجامعة نفسها استاذا آخر اى البرشت شولتنس Schultens (١٦٨٦ الى ١٧٥٠) الذى يعتبر مثالا مثيلا لهؤلاء العلماء الذين لم يدرسوا اللغة العربية لقيمتها الادبية اوللتعمق فى تاريخ الاسلام اولدرس تطور الادب عند المسلمين بل لاستعمالها وسيلة لدرس العهد القديم واللغة العبرانية .
وعاش فى ايام هذا المستشرق الفلمنكى عالم المانى اسمه يوهان يعقوب رايسكه يستحق بان يدعى اول مستشرق حقيقى فى عهد غير ملائم للدراسات العربية ومن المدهش والجدير بالذكر انه قام بهذه الدراسة وادام عليها على الرغم من المصاعب التى اصابته فى ابان حياته .

ولد رايسكه فى عائلة دباغ فقير فى ٢٥ كانون الاول سنة ١٧١٦ فى قرية تسوربج Zörbig فى مملكة ساكسونيا ، وحصل على تربيته الثانوية فى الميتم المشهور فى مدينة هاله (وكان هذا الميتم الذى أسس سنة ١٦٩٥ مدرسة ذات شهرة فى ذلك العهد) وبقى فيه من سنة ١٧٢٨ الى سنة ١٧٣٢ ، واخذه «شوق لايوصف وغير قابل القمع لتعلم اللغة العربية» لم يدر الشاب ما سببه ، وعندما ابتدأ بدراسته فى جامعة لايبزج عام ١٧٣٣ اختار مواضيع تحصيله مستبداً برأيه وشرع فى دراسة اللغة العربية بنشاط كبير وتوفق فى درس النحو العربى دون الأخذ بمعونة اى معلم ما مستندا على موهبته الخاصة لتعلم اللغات فقط . وسعى ان يشترى كل ما وجد اذ ذاك فى اوروبا من الكتب العربية المطبوعة رغم فقره المدقع وكونه فى حاجة الى ضروريات الحياة لان والديه الفقيرين لم يستطيعا ان يعطياه اكثر من ٢٠٠ تالر فى مدة خمس سنوات (وكان التالر يساوى الدينار او اقل منه) . وفى سنة ١٧٣٥ بدا له ان يتجرأ على مطالعة «عجائب المقدور» لابن عربشاه ، وهذا كتاب مسجع صعب الاسلوب ، ولعلمه بنقائص الكتاب المنشور على يد جوليوس واغلاطه سافر فى شتاء ذلك العام الى مدينة دريسدن ، وكان معلوماً لديه ان احد مأمورى المكتبة الملكية هناك يملك نسخة مصححة مستندة على نسختى هذا المؤلف المحفوظتين فى مكتبة باريس ، فاستنسخها رايسكه باذن صاحبها . وقد اكمل الشاب مطالعة كل ما كان موجودا من الكتب العربية المطبوعة فى سنة ١٧٣٦ — اى لما اتم من عمره عشرين سنة ! — وفى هذه السنة ترجم الى اللاتينية رسالة هرمس المثلث بالحكمة التى كان مخطوطها محفوظا فى مكتبة لايبزج ، فقال المستشرق الكبير هـ . ل . فلايشير Fleischer عن هذه الترجمة سنة ١٨٧٠ ، اكثر من قرن بعد وفاة المؤلف : «انه لم يعد يوجد الآن شاب ابن عشرين سنة يستطيع القيام بترجمة احسن منها حتى ولوكان حاصلا على افضل التعليم ومتلقنا اصح الوسائل» وعبر كذلك عن رغبة واحدة يقول : «ليتنى اجتنبت غلطات رايسكه ، ولا ارغب فى فضل اخر» . بعد ذلك كان على رايسكه ان يحصل على مخطوطات عربية فبعث اليه المؤلف الشهير لكتاب Biblia Hebraica وهو يوهان كريستوف ڤولف Wolf فى مدينة هامبورج (من ١٦٨٣ الى ١٧٣٩) بنسخة من مقامات الحريرى من مجموعته الخاصة ، ونشر رايسكه المقامة السادسة والعشرين بمتنها العربى وترجمتها الى اللاتينية استناداً الى هذه المخطوطة وإن سمى هذا التأليف فيما بعد eine elende Schülerprobe وسريعا ما تحسنت ترجماته وتفوق الاولية. واقرضه ڤولف المذكور مخطوطات اخرى لكى يتصرف بها فكان رايسكه ممنونا له لفضله هذا طول عمره. وكان كلما ازداد تعمقاً فى الادب العربى ازداد شغفا به ، واصبحت

امنيته الكبرى ان يكرس حياته لهذا العلم ويبذل كل وقته لهذا الهدف . ولم يكن ذلك ممكنا الا بدخوله مكتبة لايدن المشهورة وخزينة المخطوطات المحفوظة بها المساة «بوقف وارنر» . عزم رايسكه على السفر الى هولاندا رغم المشكلات العظيمة ، فرحل فى شهر مايو سنة ١٧٣٨ متوجها اولا الى هامبورج حيث قابله المؤلف ڤولف المذكور بكل لطف وقدمه ايضا لرايماروس Reimarus ، عالم واسع الصيت . ثم تابع رايسكه سفره الى مدينة امستردام وزار هناك الدكتور دورفيل d'Orville ، احد اساتذة اللغات القديمة وكان الاستاذ ڤولف قد كتب له خطاب توصية ، فود الاستاذ دورفيل ان يتخذ رايسكه معاوناً له ، ولكن الشاب الذى كان شغفا بمطالعة المخطوطات العربية لم يرد قبول الارتباط بوظيفة ما وردّ هذا العرض مع انه لوكان قبله لحسنت وضيعته المالية تحسنا ملحوظا ؛ ولكنه رفض القبول حتما كيلا يضيع الوقت اللازم لمطالعة الكتب الشرقية .

ومع ذلك فقد قدم الاستاذ دورفيل له خدمات جميلة طيلة اقامته فى هولاندا وكان يوكله بقراءة التصحيحات لبعض كتبه وما يشبه ذلك من الاعمال الادبية والعلمية ومن التراجم كما كان يقوم بتسديد بعض مصاريفه فى اواخر اقامته بلايدن .

وصل رايسكه مدينة لايدن فى ٦ حزيران ١٧٣٨ وقام فى الحال بزيارة المستشرق شولتنس فعرف منه انه لا توجد هناك منح دراسية للطلبة الاجانب وان عطلة الصيف ستبدأ عن قريب . وقد زاد من غمه انه لم يسمح له بدخول المكتبة لعجزه عن ايفاء الرسوم . فصار مصححا عند احد الكتبيين ، وهو يوهان لوزاك ، الذى اعطاه بدلا لخدمته غرفة وطعاما فقط ، وكان يحصل القليل من المال باعطاء دروس خصوصية باللغة اليونانية والمكالمة باللاتينية للطلاب الهولانديين . وعندما تابع شولتنس التدريس بعد التعطيل الصيفى اصبح رايسكه تلميذا له وحصل بمساعدته على الاذن بمطالعة المخطوطات التى طالما اشتاق لرؤيتها .

وكانت رغبته الاولى التعمق فى آثار المؤرخين وكتب الجغرافيا ، ولكن شولتنس اوصاه بدرس الشعر العربى . فنسخ الشاب سنة ١٧٣٩ ديوان جرير ، ولامية العرب للشنفرى ، وديوان الطهمان ، وفى السنة التالية الحماسة للبحترى ، واما معظم اوقاته فصرفها فى مطالعة اشعار الجاهلية الاكثر شهرة ، اى المعلقات ، ودرسها فى مخطوطين «وارنر ٢٩٢ و وارنر ٦٢٨» مع شرح التبريزى وشرح النحاس ؛ واختار اطولها ، وهى معلقة طرفة ، للتهذيب والتصحيح ، واتم هذا العمل او القسم الاكبر منه ، عام ١٧٤٠ ، ولكن الطباعة لم تتم الا بعد سنتين اى فى عام ١٧٤٢ ؛ ويحتوى كتابه هذا على المتن العربى بلا حركات مع ترجمته اللاتينية وحواش له ، وشرح النحاس ؛ وبعد ان يعلق المؤلف على الترجمة والحواشى بعض الملاحظات يظهر كيف تطورت افكار الشاعر ويوضح موضوعات القصيدة واحدا بواحد كما يفسر ايضا الاشكال الشعرية وطرز البلاغة بمعونة كثير من الابيات والعبارات المأخوذة عن المعلقات الاخرى وعن ديوان الهذلية والحماسيتن واشعار المتنبى وابى العلاء المعرى وسائر الشعراء ؛ وتعالج المقدمة انواع مخطوطات المعلقات وحواشيها وشروحها والاسماء التى تعرف بها ، ويقدم للقراء محتويات كل واحدة منها ويزيد المعلومات عن مجرى حياة مؤلفيها ، ويبحث فيما بعد حياة طرفة بالتفصيل كما انه يضيف ايضا جدولا للانساب تبدو منه علاقة القرابة بين طرفة وسائر الشعراء فى جزيرة العرب ويمكننا بواسطة ضبط التواريخ التى اقترحها رايسكه فى مقدمة تاليفه هذا . وكان رايسكه بهذا العمل اول من سلك الطريق الذى يسلك الى الآن فى الغرب عند شرح آثار الشعراء العرب ، ومن المسلّم به ان هذا الطريق هو احسن طريق يهدى بالشارح الى غايته العلمية .

ومع ذلك فان المنهاج الجديد كان بعيداً جداً عن الطرق التى بحث فيها الاستاذ شولتنس عن اصول اللغات السامية فى غمائم خياله ، ولم يقم رايسكه فى تأليفه بذكر مثل هذه المخيلات الغير معقولة : ان من اقتنع ببراهين رايسكه على ان المعلقات من شعر القرن السادس الميلادى فهو يعرف بان لا ثقة بما زعمه شولتنس عن الشعر العربى القديم العهد . اما شولتنس فلم يعرف كيف يفهم كتاباً فى العربية موضوعه لا علاقة له بتفسير التوراة ولا بنظريات اللاهوتيين .

ووقعت لذلك ولسبب اخر مناقشة شديدة بين هذين الرجلين المختلفى الاخلاق غاية الاختلاف . اما رايسكه فلم يبال بما قاله الكثيرون وثابر على سلك الطريق الذى عرفه صحيحا وطيدا ، ولم يكن له علاقة ما بعلم اللاهوت ، ولم يكترث بالسؤال هل لعلم التوراة ودرس اللغة العبرية اى فائدة من جراء درس العربية ام لا . ولم يكن باستطاعة الاستاذ شولتنس اقناع تلميذه هذا بان يتعلم اللغات السامية الاخرى غير العربية لان رايسكه كان قد ادرك ان هذا لن يجلب اثمارا مرضية لدرس علم اللغة العربية وادبها ، وعرف ان درس مشتقات الكلمات تلاعب على اساس جذور فرضية وان السعى لمعرفة المعنى الابتدائى للكلمات المشتركة فى اللغات السامية ما هو الا خرافات باطلة .

und mein damaliger Hauswirth, der Kriegsrath Lange, mir verschafften, die habe ich nur in den letzten Jahren meines hiesigen Studentenlebens genossen. Ich hätte sie noch länger genießen können; allein um das Jahr 1738 fuhr mir die Reise nach Holland in den Kopf, und ich war davon nicht abzubringen. Keine Vorstellungen der Gefährlichkeit einer Reise in ein fernes Land, ohne Geld, fielen mir bey, oder hatten auf meine, damals noch kindisch hitzige und der Welt unkundige Seele, einige Gewalt.

Ich sollte, ich mußte Leyden sehen. Darüber ließ ich alle in Händen habende Vortheile fahren. Meiner Reise nach Leyden, und dem Durste, die dortigen arabischen Manuscripte zu durchwühlen, opferte ich alle Aussichten meines künftigen Glückes auf. Das ist mir übel bekommen. Theuer, gar theuer, habe ich meine Thorheit büßen müssen! Ich bin zum Märtyrer der arabischen Literatur geworden! Ach, wenn doch mein damaliger brennender Durst nach dieser Literatur, der mich nur unglücklich gemacht hat, weil er zu frühzeitig kam, in einem Jahrhunderte, das ihn nicht brauchen, mithin auch nicht schätzen, und nicht belohnen, noch aufmuntern konnte, in eine Seele führe, die etwa einmal glücklichere Zeiten beleben möchte! wenn dergleichen Zeiten etwa einmal (wiewohl das nicht zu hoffen steht,) einbrechen sollten, da man die arabische Literatur höher achten, und fleißiger treiben wird, als man itzt thut. Ein Geist, mit einer solchen

صحيفة عن مذكرات الاستاذ رايسكه كتب فيها «اصبحت شهيد الادب العربي ...»

THARAPHÆ

MOALLAKAH

cum Scholiis

N A H A S.

e MSS. Leidensibus

Arabice edidit, vertit, illustravit

JOANN. JACOB. REISKE.



LUGDUNI BATAVORUM,

Apud JOANNEM LUZAC,

MDCCXLII.

عنوان كتاب رايسكه عن معلقة طرافة.

حتى انه اعلن «ان اراد المرء ان يساعد على رواج دراسة العربية فعليه انه لا يدرسها كالاهوتي» . وثار ضميره كفقيه فى اللغة على طريقة شولتنس الهوائية فى معالجة النصوص العربية وكيف كان يتفادى الصعوبات إما باهمال الكلمات التى لم يفهم معناها دون ذكر ذلك او بتغييرها تعسفا . لقد كان على علم بأنه لا يكفى لاصدار نشرة صحيحة كون المخطوط قائما على اسس سليمة فحسب بل القدرة على النقد ومعرفة اخطاء النقل وتكهن المعنى الذى يقصده المؤلف من القرينة واصلاح مواضع فساد المخطوطة بتصحيحات تناسب اصطلاحات المؤلف .

كلفته ادارة المكتبة فى لايدن بتبويب وتنسيق المخطوطات العربية ، ورحب رايسكه بهذه الفرصة التى امكنته من تدقيقها كلها فنسخ ما علق بها من الآثار ، مثلا المعارف لابن قتيبة ، والتأريخ والجغرافيا لابى الفداء ، وتأريخ حمزة الاصفهانى ومقتطفات من طبقات الاطباء لابن ابى اصيبعة وغيره . ولكنه لم يمكنه الحصول على درجة الدكتوراه فى كلية الاداب فى جامعة لايدن لان شولتنس ابى ذلك عليه إذ انه كان يريد ان يعين ابنه خليفة له على كرسى الدراسات الشرقية ، وود لو رايسكه ترك دراسة العربية تماما . لذلك افهم العالم الالمانى ان وضعيته بائسة بلا امل واقنعه بان يدرس قليلا من الطب ، فدرس رايسكه الطب لمدة بعض اشهر وحصل على درجة دكتور طب فى شهر مايو سنة ١٧٤٦ استناداً الى ما كان قد جمع من معلومات طبية من المؤلفات العربية مع ان اللاهوتيين فى لايدن اقاموا مشكلات جديدة مدعين انه كان مادياً لما عرضه من الابحاث العلمية فى امتحانه . سافر رايسكه فى ١٠ حزيران ١٧٤٦ من هولاندا ووصل مدينة لايبزج فى اوائل شهر تموز . ولما لم يرغب فى اجراء الطب فعلا وجب عليه ان يكسب يوميته بتصحيحات الكتب وباعطاء دروس خصوصية وبتراجم وما شابه ذلك من الاشغال غير المجدية . ولكن المهم انه بقى لديه وقت لمتابعة العربية ، والف فى شهر آب ١٧٤٧ كتاباً لاتينية عنوانه :

Prodidagmata ad Hagji Chalifae librum memorialem rerum a Muhammedanis gestarum exhibentia introductionem generalem in historiam sic dictam orientalem

36 T H A R A P H Æ

94 فلو كنت وغلا في الرجال لضرني عداوة ذي الاصحاب والمتوحد

95 ولكن نفي عني الرجال جراتي عليهم واقدامي وصدقي ومحتدي

96 لعمرك ما امري على بغمة نهاري ولا ليلى على بسرمد

97 ويوم حبست النفس عند عراكها حفاظا على عوراتها والتهدد

98 على موطن يخشى الفتى عنده الردي متى تعترك فيه الفرايص ترعد

99 واصفر مضبوح نظرت حواره على النار واستودعته كف مجمد

100 ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود

101 لعمرك ما الايام الا معارة فما استطعت من معروفها فتزود

94 الوغل الضعيف الخامل الذي لا ذكر له والواغل الذي يدخل على القوم من غير اذنهم والوغل الذي يحضر الشراب ولم يدع عليه والوغل الشراب ايضا

95 ويروي ولكن بقي الاعادي والمحتد الاصل

96 العَمر والعُمر واحد الا انهم لا يستعملون بالقسم الا الفتح لكثرة استعمالهم اياه والغمة الامر المبهم لا يهتدي له والسرمد الطويل

97 اصل العراك الازدحام اي صبرت نفسي عند ازدحام القوم في الحروب والخصومات وعوراتها اي مخافة العدو

F I N I S.

M O A L L A K A H. 37

Nam si obscurus essem inter illustres, profecto noceret mihi odium & amicis stipati, & solitarii.

95 Sed homines a me propulsat mea in ipsos audacia, & aggressio, & strenuitas, & prosapia.

Res meæ, ita valeas, neque interdiu me sollicitum tenent, neque nox mihi mea nimis longa.

Per diem, quo firmavi pedem in constipata acie & inter minas, loca mihi patentia præmuniens,

In campo, ubi heros vereatur exitium; ubi, cum te in aciem inseras, scapulæ contremiscant.

Perque *aleatoriam sagittam* flavam, fumosam, cujus vidi pullum igni adstantem, & quam ingessi dextræ avari:

100 Prodent sane dies tibi quod ignorabas, & adferet tibi nuncios is, quem nec commeatu instruxeras.

Dies, hercle, non sunt nisi depositum; quod itaque ab iis beneficii potes obtinere, capta.

العدو كقوله تعالى بيوتنا عورة اي حذا العدو ويروي روعاتها اي فزعاتها

98 الموطن مستقر الحرب والردي الهلاك وتعترك اي تزدحم والفريصة اللحم من اخر الكتف عند الجنب وهي اول ما ترعد

99 يعني بالاصفر السهم والمضبوح الذي غيرته النار وحواره رجوعه اذا جعل علي النار المجمد الذي يضرب بالسهام

100 اي ستظهر لك الايام ما لم تكن تعرفه ويأتيك بالاخبار من لا تامره ان يأتيك بها ولا تزوده

F I N I S.

الصحيفتان الاخيرتان لكتاب رايسكه عن معلقة طرافة ، مع متنها وترجمتها اللا تينية.

وهو رسالة فى التاريخ الاسلامى ، نشرها تلميذ له ، يدعى ى. ب. كولر Köhler سنة ١٧٦٦ فى كتابه عن ابى الفداء فى شكل ملحق (ص ٢١٥ — ٢٤٠) وفيه يرفض رايسكه فى مستهل مقدمته استعمال التعبير «شرقى» لانه غير مضبوط ، ويستعمل بدلا منه تعبير «محمدى» او «مسلم» لان هذا العلم يبحث عن تاريخ المسلمين لا فى الشرق فحسب بل ايضا فى افريقيا واوروبا ؛ ويريد المؤلف ، كما قال ، معالجة مادته فى ثلاثة ابواب : اولها البحث عن الملل والسلالات ، ثانيها عن البلدان التى وقعت فيها هذه الحوادث التأريخية ، وثالثها عن المصادر التى تخبرنا عن هذه الوقائع . ويلى هذا التمهيد الصريح بيان واضح حسن النظام .

الباب الاول (ص ٢١٨ — ٢٢١) يعدد العناصر الخمسة التى لعبت دوراً فى تاريخ الاسلام ، وهم العرب ، والايرانيون ، والاتراك والتراكمة ، والمغول والتتر ، والبربر ، ويبين موجزاً السلالات التى اخرجتها كل أمة ، ويشير فى ملحق للباب الاول مرة اخرى الى اماكن هؤلاء السلالات وكيف انتشرت من الاندلس الى الشرق الاوسط. وفى الباب الثانى يذكر المؤلف استناداً الى آثار ابى الفداء ، الممالك الاسلامية ومدنها المهمة ويبحث ايضا بوساطة مقدمة العالم العربى نفسه عن البحور والانهار والجبال وينجز الباب مشيراً الى ما يجب ان يلم به من المعلومات على مدرسى الجغرافيا التأريخية . ويحتوى الباب الثالث — وموضوعه المنابع التأريخية — على فهارس الكتب النقدية مبتدئاً بتأليف ديربلو d'Herbelot المسمى ب Bibliothèque Orientale (المكتبة الشرقية ، وهى قاموس شامل على كل ما كان معروفا فى اوائل القرن الثامن عشر عن المواضيع الشرقية) ، ويقدر رايسكه هذا التأليف غاية التقدير ؛ ويذكر فيما بعد المطبوعات المعدودة التى يمكن ذكرها بهذا الخصوص وهى : E. Pocock

وتأليفات جرجيس المكين (المتوفى ١٢٧٣) ، وابى العباس احمد الفرغانى المنجم المشهور فى اوروبا منذ القرون الوسطى ، والاقسام المطبوعة من تاريخ ابى الفداء (وليس فى رأيه ابن عربشاه بمؤرخ حقيقى) ، وما يسمى الجغرفى النوبى Geographus nubiensis ؛ ثم يشير بالايجاز الى كتب الرحلة وما ألف فى اوروبا من الكتب حول التأريخ الاسلامى (مثلا قانتمر ، Pétis de la

Croix وغيرهما) ، وبعد ذلك يبحث عن المصادر المخطوطة ، اى عن تأليفات ابى الفداء باجمعها ، عن ابن الشحنة ، حمزة الاصفهانى ، كتاب المعارف لابن قتيبة ، كتاب الاشتقاق لابن دريد ، كتاب الامثال للميدانى الذى قدره غاية التقدير. ثم يضيف بعض ملاحظاته فى فهرست المخطوطات الشرقية فى لايدن الذى اعتنى باحضاره هايمان Heymann ، ويتم مقالته مشيراً الى مجموعات المخطوطات الموجودة فى اوكسفورد ، باريس وفلورانسا التى كانت اقل اهمية من مجموعة مكتبة لايدن .

بعد ان عالج رايسكه موضوعه فى هذه الابواب الثلاثة ختم كتابه — على عادة عصره — بمديح يستحق المطالعة حتى فى ايامنا هذه ، يمدح فيه التأريخ الاسلامى ويوصى مواطنيه بمتعدد الاسباب على درس هذا التأريخ الذى كان يهمل كثيراً فى اوروبا . ومع ان هذه التصريحات كانت مخاطبة لطبقة القراء غير الاختصاصيين فى هذا الحيز والذين لا علاقة خاصة لهم بتفرعات هذا العلم فقد اراد المؤلف استرعاء اهتمامهم لهذا الموضوع الجديد ، وبالرغم عن ذلك فان هذا المديح دليل صريح لادراك تصورات رايسكه ونظرياته العامة وإن نقص احيانا ارتباط منطقى؛ تدل هذه السطور على ان العالم رأى تأريخ الشرق كقسم لتأريخ العالم العام ، وانه ظن ان درس هذا التأريخ كان واجبا على الانسان لاجل التواتر التأريخى ، كما أعتبر ايضا درس تاريخ اليونان والرومانيين القديمين واجبا على كل رجل مثقف وقد اجمع العلماء فى العالم على ذلك اجماعاً كاملا ولا ينكر احد اهمية التاريخ القديم . لقد تحقق لرايسكه من وصف ايران فى اثناء القرون الوسطى بقلم ابى الفداء انه كانت هناك عين الامم والاقاليم ، وعين العادات وانواع الحكومة التى تحققت له من مطالعته تأريخ هرودوت اليونانى ووصفه لايران القديمة . لذلك يطلب العالم من المؤرخ ان يعقّب ما حدث فى مدى العصور لتلك الممالك والولايات فى الشرق وفى افريقيا التى فتحها اليونان اوكانت من توابع الامبراطورية الرومانية ، ويراعى ايضا العلاقات المتبادلة والحوادث المشتركة بين الغرب والعالم الاسلامى التى كانت موجودة منذ ايام شارلمان الامبراطور الالمانى فى ايام هارون الرشيد ومنذ تأسيس دولة الروم ، من عهد النورمان فى صيقليا والصليبيين الى فتوحات الاتراك العثمانية ، ويشير الى الفائدة التى سيحصلها مؤرخ الغرب من درس الشرقيات . وكثيرا ما اكد لقرائه بان التأريخ الشرقى لا يقصر عن تاريخ الغرب معنى او قيمة او محتويات ؛ وصرح بان المتخصص بالتأريخ كثيرا ما يرى الكفر والظلم ظافرين بلا عقاب يعيشان فى سعادة فانية بينما يرى ايضا التقوى وبساطة الخلق مهملين على سطح الارض او مداسين فى التراب ، فيبدو للناظر المتحير كأن كل شىء دائر فى دور عظيم مهول تحركه قوة عمياء مجهولة ، ومع ذلك لا يشك بان الثمر الاحلى والمحصول الاهم الذى انتجه درس التأريخ هو ادراك القوى التى تسيّر الافعال البشرية كما كشف عنها تأريخ بنى آدم .

ومن اراد ان يتعلم من درس التأريخ مناهج السياسة ، ومن رغب فى تبصر الحكمة الالهية او طرق القضاء الاعمى ، او من ود ان يتفحص الاخلاق والشيم البشرية فانه يجد لذلك فى تأريخ الشرق امثلة بارزة عين البروز كما يجدها فى تأريخ اوروبا . ولا يتردد رايسكه بان يعطف على اعمال طغرل السلجوقى ، جنكزخان ، تيمور ومحمد الفاتح اهمية وقيمة اكبر من قيمة فتوحات اسكندر الاكبر ، ويبلغ اعجابه بملوك ايران القديمة حدا انه شبه انتصار اليونان على الايرانيين بتصلف برغشى يزعج الافيال ، ونظر الى تاريخ الاسلام بعين طويلة النظر ، وان اعتبر ظهور محمد والفتوحات الدينية من الحوادث التأريخية التى لا يفهم معناها العقل الانسانى بل يرى فيها حكم القدرة الالهية ؛ ويرى فى قبض بنى امية عنان الدولة وفى الآلام التى قاساها آل على بن ابى طالب قضاء الهياً . وتمسك ؛ «تشيع حسن» كما وجد هذا التشيع فى مصادره التأريخية غير القديمة العهد: اى انه اعتبر علياً الخليفة الحقيقى للرسول وقد منعه احيال الشورى ودسائسه من حقه الموروث لمدة ٢٤ سنة ، ويرى فيه احسن ملك ظهر فى العالم الاسلامى ، ملكا شجاعا ، عادلا امحاه القضاء والقدر ، واباده بغض عائشة الطموحة . ويرى رايسكه فى مجادلة على ومعاوية مثالا امثل لظفر الحيلة على القوة ، لفوز الرداءة على الامانة ، حتى انه لا يكتفى بذلك المديح بل يقارن بين على بن ابى طالب ومارك أورل ، الامبراطور الرومانى الذى يسمى «الفيلسوف على السرير» . وتدعوه احياناً هذه الرغبة فى التشبيه الى ان يكشف كثيرا من المشابهات بين التطور التاريخى فى ممالك الاسلام وفى اوروبا لكى يثبت لقرائه انه قد وقع على مسرح الشرق من المشاهد السامية المهذبة مثلما جرى فى الغرب .

وفى ابان هذه السنوات كتب رايسكه كتابا اخر عنوانه :

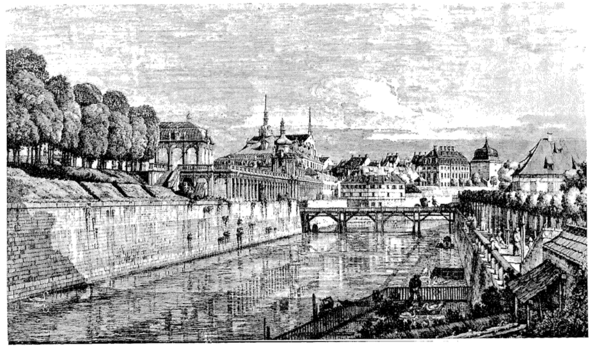
de Principibus Muhammedanis literarum laude claris

فانعم عليه ملك ساكسونيا فى مدينة دريسدن لقب «الاستاذ» وخصص له معاشا سنويا مقداره ١٠٠ تالر ، بيد ان الحكومة



برناردو بلوتو المسمى بـ «كانالتو» Canaletto: السوق العتيق فى مدينة دريسدن وشارع القصر. نحت على النحاس، سنة ١٧٥٢.
تصوير: الفوتوتك الالمانى بمدينة دريسدن Deutsche Fotothek, Dresden

برناردو بلوتو المسمى بـ «كانالتو» Canaletto: ايوان القصر المعروف باسم «تسوينجر» Zwinger مع «باب التاج» والجسر على نهر ايلبه.
نحت على النحاس، سنة ١٧٥٨.
تصوير: الفوتوتك الالمانى بمدينة دريسدن Deutsche Fotothek, Dresden.



ادريان تسوينك A. Zwingg (١٧٣٤—١٨١٦): منظر مدينة دريسدن سنة ١٨١٥.
محفوظ فى متحف دريسدن المخصوص التصويرات المنحوتة على النحاس Kupferstichkabinett
تصوير: الفوتوتك الالمانى بمدينة دريسدن Deutsche Fotothek, Dresden.

برناردو بلوتو المسمى بـ «كانالتو» Canaletto: السوق الجديد فى مدينة دريسدن، نحت على النحاس، سنة ١٧٤٩.
تصوير: الفوتوتك الالمانى بمدينة دريسدن Deutsche Fotothek, Dresden

اننا نهدف بايراد هذه الرسوم ان القارئ يصوّر منظر مدينة المانية مشهورة فى القرن الثامن عشر، و كانت هذه المدينة مركز المملكة الساكسونية التى كانت وطن العلامة رايسكه، و سافر اليها مرارا.

لم توف هذا المعاش الا بين الحين والآخر حتى انقطع تماماً بعد سنة ١٧٥٥ . وسرعان ما تدهورت وضعيته الاقتصادية ويقرض للفاقة والحرمان كما كانت حالته من قبل ، ولم يرقه احد اذ اتهمه اللاهوتيون بالزندقة لانه لم يتراجع عن اصراره الّا يسمى محمدا «نبياً كاذباً» و«خداعا» والا يصف دينه خرافة مضحكة ولانه لم يقسم تاريخ العالم الى قسمين ، احدهما التأريخ المقدس ، والاخر التأريخ الدنيوى ، بل كان يحصل لتأريخ الاسلام منصبا فى وسط التأريخ العام .

زد على هذا ان رايسكه لم يتردد باظهار رأيه بكل صراحة غير مبال بالنتيجة ، واحدث ذلك خصومات شديدة ؛ فمثلا قام الاستاذ شولتنس الفلمنكى فى سنة ١٧٤٨ بنشر طبعة جديدة لكتاب النحو الذى الفه اربنيوس (سنة ١٦١٣) وما كان ذلك الا تكرار طبع المؤلف الاصلى كما كان اعتنى به جوليوس ، خليفة اربنيوس ، دون ان يغير فيه شولتنس كلمة واحدة بل ابقى على ما فيه من اساطير لقمان ومن الامثال الا انه اضاف الى هذه المادة الموروثة اشعاراً منتخبة من الحماسة ولم يخل هذا المقتطف من الغلطات ؛ ثم الف شولتنس مقدمة طويلة لهذا الكتاب رد فيها نظريات بعض شارحى التوراة من اليهود ومن يقول قولهم من النصارى فى مسألة قدسية اللغة العبرانية . واعترض رايسكه على المقدمة قائلا بانه لا يليق ذكر هذه المسائل المتعلقة بتفسير التوراة فى كتاب يبحث عن النحو العربى ، ولا جدال فى ان مطالعة اشعار الحماسة ليست بمناسبة للمبتدئين بدرس العربية .

وفى العام نفسه نشر شولتنس ترجمة لكتاب امثال سليمان مع شرح له مستعملا فيه منهاج البحث عن مشتقات الكلمات بلا حرج . وقام رايسكه بمراجعة هذين الكتابين فى Nova Acta Eruditorum وهى مجلة علمية من نشر السيد منكن . وألزمه ضميره فى هذا النقد الأدبى أن يصرح عن الحقيقة بشأن الكتابين . ومع أنه حافظ على الاحترام اللائق تجاه شولتنس فأنه أدرك من الوقع الذى سببه فقط انه كان من الأفضل لو كان قد قام احد غيره بهذه المهمة . ولكن شولتنس الذى كان معتادا على المشاجرات الأدبية والذى لم يجترئ احد حتى ذلك الوقت الشك فى كونه معلم عصره فى العربية قام بالدفاع عن نفسه ببعث تحريرين الى «منكن» طالبا منه أن ينشرهما ويوزعهما الى جميع الجهات . وفيها خرج بالنزاع الى المضمار الشخصى وافترى على رايسكه غاية الأفتراء بحيث لم يبق ذلك دون نتيجة . وكان لهذين المكتوبين تأثير كبير فى المانيا — وكان شولتنس قد ارسلهما الى جميع اساتذة الكلية بلايبزج — فلم يستطيعوا تقدير ما عرضه رايسكه من الاسباب الواقعية ولم يتمكن احدهم من المقارنة بين الرأيين مقارنة علمية كما لوكانوا اختصاصيين فى الموضوع . ولم يمد احد يد المساعدة لرايسكه ومضت عليه سنة بعد سنة دون ان يعينه معهد ما فى المانيا او فى خارجها استاذا ولم يفده اثباته فى نشرياته انه كان متبحرا فى اللغة اليونانية ايضا لأن خصيمه فى هذا المضمار كان الاستاذ ارنستى Ernesti ، استاذ اللغات القديمة واللاهوت معاً . — فى سنة ١٧٥٣ حاول الاستاذ بوبوويتش Popowitsch فى جامعة ڤينا ان يجد منصباً لرايسكه لدى السفير النمساوى فون شواختهايم الذى سافر الى استانبول سفيرا عند الباب العالى ، وفشل هذا الترتيب لان رايسكه ابى ان يتكثلك . واستمرت احواله المالية تملى عليه الضيق والحرمان ، وخاصة عندما توقف الملك الساكسونى عن اداء معاشه فى عام ١٧٥٥ .

ولما يئس رايسكه من حاله توجه فى اواخر سنة ١٧٥٦ الى الاستاذ ى . د . ميخائليس Michaelis (١٧١٧ الى ١٧٩١) فى مدينة جوتنكن الذى كان زميله فى المدرسة . ولم يشعر العالم الساذج الذى لم يكن له دراية لا بالناس واخلاقهم ولا بالدنيا ودناياها انه وضع حياته فى يدى انانى مدبر للمكائد . روى له رايسكه ما جرى له من تصرفات الدهر ومن الضيق وافهمه انه لو عينه استاذا فى معهد جوتنكن لأجبرت الحكومة الساكسونية على معونته حتى ولوكان هذا التعيين المفروض ظاهرا وغير حقيقى ؛ واضاف الى هذه الكلمات — وكان مخلصا غاية الاخلاص مستقيما — ان ضيقه وفقره قد منعاه من ان يخدم ركاب الادب العربى اكثر مما خدمه حتى الآن ، ولو تحسنت احواله فانه سيأخذ فى طبع كتبا عربية ويعتنى خاصة بطبع قاموس صغير للعربية ؛ وان لم يساعده الله بالقريب العاجل فيصبح لا فائدة منه للادب العربى . ورغم انه كان لميخائليس تأثير واسع ونفوذ كبير بين اهل العلم فى المانيا فانه لم يرغب فى التوسط لأجل عالم فاقه بكثير فى اتقان اللغة العربية ... وكان وقوفه هو على العربية ناقصا لا يعتد به ، وظن مثلا ان الاعراب كان من مخترعات النحويين العرب ولعلهم ادخلوه متبعين المثال الاوروبى ؛ وكان يعترف نفسه بانه يجهل تطبيق العروض ومع ذلك تجرأ ان يترجم ويشرح المقتطف من الحماسة الذى نشره شولتنس ، وكان عظيم الافتخار بطريق تعليمه للغة العربية ومنهاج تدريسه .

ولما كان عليه من الاعتداد بالنفس وحب الظهور والاستبداد لم يرد ان يشتغل احد سواه فى هذا المضمار . ولذلك تظاهر

بالغيظ لما جاءه طلب رايسكه ، حتى انه حول مكتوبه الذى لايشك فى ماهيته الخاصة الشخصية الى وزير المعارف فى مملكته مشيراً اليه بالرد ؛ ثم قدم لرايسكه الرد الوزارى ضمن خطاب رسمى صارم .
واطاح ذلك المكتوب بآمال رايسكه كلها ، فادرك انه لن يتعين استاذا فى معهد ما بعد ذلك ، فاخذ فى السعى الى وظيفة فى مدرسة ، فاصبح عميد مدرسة نيكولاى فى لايبزج بيد ان «صديقا مرائيا» اراد منع هذا التعيين بدسائسه وكاد ان يوفق بذلك ، ولكن رايسكه كان قد وجه اهتمام الوزير كونت واكر بارت الساكسونى الى شخصه عندما عرّف السكك العربية فى مخزن متحف مدينة دريسدن سنة ١٧٥٦ ، وكفت شفاعة هذا الوزير لتبديد كل ما اظهر اهل الكنيسة من الشكوك عندما اختير رايسكه عميدا للمدرسة .

وبهذا وجد رايسكه بعد سنوات الضيق والفاقة الطويلة ملجأ اميناً ، فاستمر بالعمل فى ميدان الادبين العربى واليونانى فى اوقات فراغه من المدرسة . ولكنه لم يجد ناشرا لهذه المؤلفات فكان عليه ان يقوم بمصاريف الطبع بنفسه . وكان قد نشر فى عام ١٧٥٤ المجلد الاول من ترجمته اللاتينية لتأريخ ابى الفداء ولكنه لم يتمكن من بيع اكثر من ٣٠ نسخة منها ، ولذلك أجبر على الكف عن الطبع . ومن ذلك الحين اقتصر على النشريات الصغيرة ؛ وفى عام ١٧٥٥ اعتنى بنشر رسالة ذات اهمية كبرى لما تحتوى عليه من تلميحات واشارات تأريخية ارسلها ابن زيدون الى ابن عبدوس . وهناك رسالة صغيرة الفها ردا على تهنئة صديق له قدمها له بمناسبة تعيينه فى وظيفته الجديدة ، وكان صديقه قد ذكر فى شعر لاتينى عصا يعقوب والصولجان المذكور فى الادب اليونانى ، فشكره رايسكه برسالة صغيرة بحث فيها عن سبعة امثال عربية تعالج العصاة وقد اخذها عن كتاب الامثال للميدانى الذى كان مغرما به جدا . اما فى السنة التالية فقد عالج فى برنامج المدرسة اكثم بن صيفى احد «حكماء» الجاهلية استنادا الى كتاب الميدانى المذكور ولم يفهم احد من الناس مقصد هذا المقال واقتصروا عن ادراك اهميته العلمية حتى ان رايسكه كف عن تدوين برنامج اخر فى المستقبل .

وكان المتن العربى الاخير الذى قدمه للعالم منتخبات من ديوان المتنبى كمثال للشعر العربى ، ونشر نحو اثنتى عشر ابيات عشقية ومرثيتين فى سنة ١٧٦٥ ، واهدى هذه الباقة الشعرية الغرامية لزوجته التى اهلها بعد انتظار طويل فى سنة ١٨٦٤ ، وحباً لها اجتنب فى شرح هذه الغزليات الايضاحات العلمية واكتفى بتعريف كلمات الشاعر وايضاح عالم شعوره للقارىء الغربى الذى كثيرا ما وقف مكتوف اليدين تجاه بعض التعابير الشرقية ، وحاول تقدير قيمة اشعار المتنبى من وجهة نظر علم الجمال .
وتحقق مرامه الذى عبر عنه فى اهداء هذا الكتاب وهو : ليت شعرى ان يبقى اسم زوجى مقرونا باسمى ، معروفا عند الناس ! لان مادام اسم رايسكه يذكر سيذكر ايضا اسم رفيقته التى رافقته بوفاء تام وشجاعة مثيلة . لما توفى رايسكه فى ١٤ آب ١٧٧٤ على اثر مرضه بالسل — ولم يكن قد اتم العام الثامن والخمسين من عمره — اهتمت هى بتركته القيمة حتى لا تقع فى يدى خصمه ارنستى ، واستودعتها لسينك Lessing المؤلف الالمانى الشهير الذى كان من القليلين الذين قدروا قيمة رايسكه اثناء حياته ؛ وحفظ لسينك هذه التركة الى ان اشتراها حاجب الملك الدانماركى السيد فون سوم ، ووصلت المكتبة فى كوبنهاجن بعد وفاة هذا الرجل الشريف .

نشرت زوجة رايسكه تاريخ حياة زوجها الراحل كما دونه نفسه قبل وفاته ، وهذا كتاب يمزق القلوب . ولم تخف من مجادلة اولائك الذين ظهرت سفالتهم وحقارتهم فى هذا التأليف ونشرت ايضا سنة ١٧٧٩ «نظريات فى كتاب ايوب» و«امثال سليمان» التى دونها رايسكه سنة ١٧٤٩ ، مضيفة عليها متن خطابه الافتتاحى الذى القاه فى ٣١ آب ١٧٤٨ فى كلية لايبزج ، وسادها شعور بالرضى عندما رأت ان العالم المتوفى حصل على التقدير الذى نكروه عليه فى حياته . ونشر جرونر Gruner فى ١٧٧٦ للمرة الثانية اطروحة رايسكه ، واما ى . ج . ايشهورن Eichhorn ، وهو ايضا من المستشرقين ، فنشر سنة ١٧٨١ المكاتيب التى بعث بها رايسكه عام ١٧٥٧ بخصوص مسألة السكك العربية الى مدير الخزينة فى متحف مدينة دريسدن .

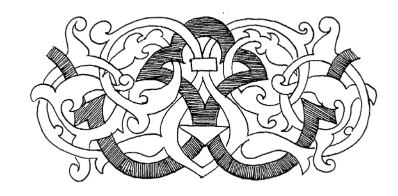
وقد رفع رايسكه من شأن علم اللغة العربية وادبها وجعله علماً مستقلا . لم ينتبه احد من معاصريه الى استقلال هذا العلم وعدم ارتباطه بغيره من العلوم اللغوية واللاهوتية مثلما ادرك ذلك رايسكه ، ولم يتوجه احد بهذه اليقظة ضد فقه اللغة المقدسة philologia sacra الذى كان مسيطرا على عقول العلماء فى ذلك العصر ، وكان مقصد هذا النوع من علم اللغة ان صاحبه لم يهتم بالعربية الا من حيث اسدائها له فوائد جمة فى تفسير العهد القديم ، وكان يكتفى بالبحث عن اصول كلمات عربية فى القاموس العربى لجوليوس ويقابلها بكلمات عبرانية مختارا له من المعانى المختلفة لكل كلمة المعنى الذى يوافق اغراضه . ورغم ان

احدى مميزات عصره كان نوع العلم المدعو بـ Polyhistorismus اى ان العالم تخيل انه بامكانه لا بل من واجبه تحصيل العلوم كلها والوقوف على التطور التأريخي باجمعه فقد عرف رايسكه ان للطبيعة الانسانية وللعقل الانسانى حدا ونهاية؛ لذلك كف مرة عن تحصيل آثار المؤرخ الرومانى سيسرو «لاجل لانهائية الاعمال ، للنقص فى الوسائط ولميل عظيم لليونانيين» كذا وقد كرس وقته باكمله للعربية فقط ورفض اضاعة وقته وقوته فى تحصيل اللغات المتجانسة . وكان غرض رايسكه اثبات الوحدة الباطنية الروحية لعلومه اللغوية والتأريخية والادبية ، ولم يهتم بالعلاقة الظاهرة بين اللغات السامية . مما لاشك فيه انه كفقيه فى اللغة رأى اصل العلم واساسه فى درس عميق للغة نفسها ، وكان معلوما عنده ان لا يهدى الى وقوف حقيقى على اللغة العربية الا طول الاناة والصبر فى مطالعة آثار المؤلفين العرب سنة بعد سنة بلا انقطاع ، وتحقق له بان مؤلفات العرب المسلمين افضل من كل ناحية من مؤلفات العرب النصارى بكثير . ولم يكن يخفى على فراسته ان طبعات التوراة والانجيل العربية ترجمها إما نصارى شرقيو ممن لم يكن لهم علم باليونانية او العبرانية اوالعربية ، اوانها كانت تراجم عجمية على ايدى اليسوعيين الذين لم يعرفوا الا الفلجاتا (اى الترجمة اللاتينية للتوراة والانجيل من القرن الخامس م) . ولذلك اجتهد رايسكه فى فتح طريق الى خزائن آداب العرب المسلمين وتوفق فى ذلك واصبح هاديا للاخرين . ولكن درس اللغة لديه ليس غرضا بنفسه بل رأى فيه اساساً للكشف عن التاريخ .

ونظرته هذه ادت به الى ادراك اهمية الدور الذى لعبه الاسلام فى تأريخ الشرق . فانه لم ينظر الى المتون العربية نظرة اللغوى الصرف الذى لا يكترث الا لفهم معانى الكلمات كما قصدها المؤلف نفسه بل نظر اليها نظرة المؤرخ الذى جعل لتأريخ الاسلام مقامه من تأريخ العالم العام ، وكان يشرح هذه المتون مثلما يشرح المشاهد فى دار التمثيل عند تأمله فى الوقائع الجارية على المسرح اذ يقوم بالفحص عن بواعث الاشخاص الممثلين وعن مراد الشاعر . ورغم ان رايسكه لم يتوفق بتأليف «تأريخ الاسلام» كما اراده فانه هذا العالم البعيد النظر وضع اساساً للعلوم الاسلامية العصرية التى تبنى كعلم تاريخى على اساس علم اللغة العربية . اما معاصروه فلم يستطيعوا فهم افكاره الجسورة ولا تأملاته الجليلة فصار «شهيد الادب العربى» كما سماى نفسه ، واصبح تاريخ حياته تأريخ الآلام والظلم كما تشهده مذكراته المؤثرة . وكما ان للجرأة التى سار بها دون اكتراث على الطريق الذى اعتبره مرة صحيحا أثرا ساميا فانه من المخجل انه لم يكتشف احد من اولى الامر فى جامعات اوروبا اهمية هذا الرجل العبقرى العظمى ؛ هذا الرجل الفذ الذى كان من اعظم علماء الاداب العربية ، ومن المخجل كذلك ان هذه الاداب التى اراد تشييد بيت لها لم تحصل فى المانيا القبول الذى استحقته . ولكنه من الطريف ان نذكر ان اسس فى القرن التالى فى لايبزج اى فى عين المدينة التى قاسى فيها ما قاسى معهد لدراسة اللغة العربية يفتخر بان يعتبر رايسكه من اجداده الروحانيين .

ويأتيك بالاخبار من لم تبع له
بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد

طرفة



بين الشعر والموسيقى
بين بيتهوفن وبشاره الخوري

بقلم محمد عثمان يس ، خرطوم

لكل ميدان من العلوم اسلوب يتميز به فى معالجة المسائل التى تحيط به وفى تكييف المعضلات التى تثور فى معتركه واستنباط الحلول لها . والخلاف حول الطريقة العلمية لدرس العلوم النظرية والاجتماعية والفنية قديم يرجع الى عصور النهضة الانسانية الاولى . وما زال الفلاسفة والعلماء وقادة الفنون يتساجلون فى اى الوسائل اجدى وأشمل لحل طلاسم الكون الذى تعيش فيه البشرية او الذى يحيط بها . وكل يدعى ان اسلوبه فى البحث عن كنة ذلك الكون او عن حقيقة الانسان هو اقرب الطرق الى واقع الحال وادقه فى تفسيره .

ولا اريد فى هذه العجالة ان ادخل فى ذلك الخضم المتلاطم الامواج او ان اضيف جديدا اليه ، ولكننى اود ان اشير الى بعض الوثبات التى تذكى روح التأمل لأنى اجد فيها حافزا للمستزيدين ودعوة صريحة للمبتدئين . وسأقصر حديثى على العلوم الاجتماعية والفنون الجميلة لما فيها من طرافة وجاذبية لمرتاديها .

فطلاب الجامعات الذين تستهويهم العلوم الاجتماعية والفنون الجميلة لابد انهم ذاكرون الحيرة العميقة التى يترددون فيها عندما يطلب اليهم ان يقرروا اى العلوم يفضلون لنيل الشهادة الجامعية لاسيما عندما تمتزج المقررات بعضها ببعض مما لا محيص عنه لتكوين الشخصية المتكاملة فى ميدان واحد .

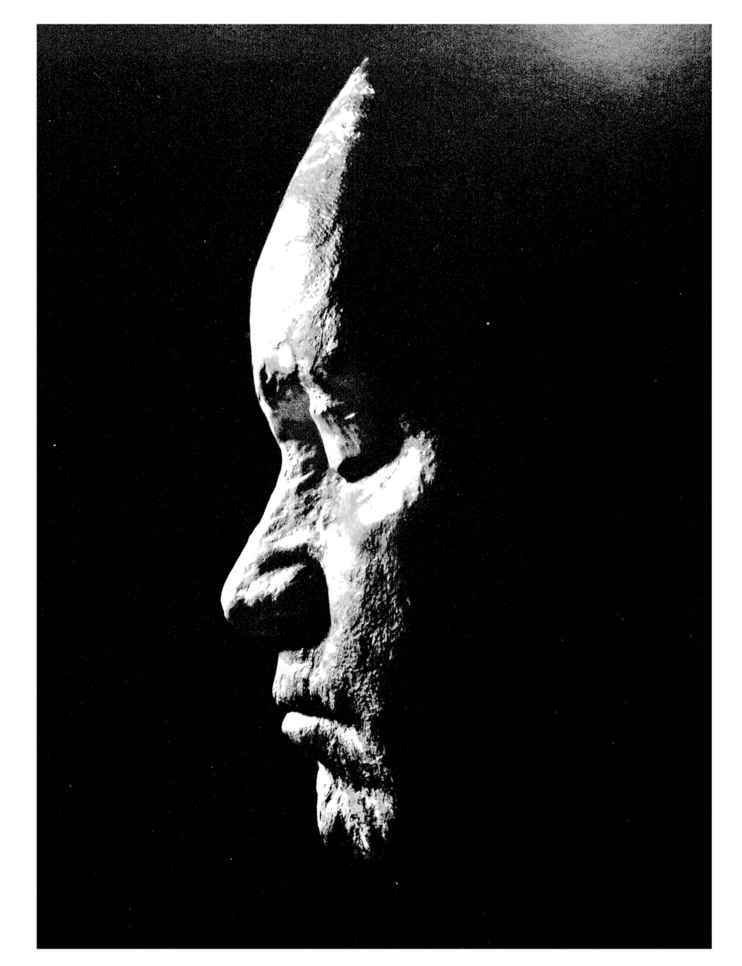
والمشكل هنا ان كل علم من العلوم الاجتماعية يدعى لنفسه الاحاطة والشمول ولكنه فى واقع الحال يقصر عن ذلك ، فقد يدعى رجال الاقتصاد انك اذا ما عرفت مكان الثروة والممتلكات عند الافراد والمجتمع امكنك ان تفسر الى حد بعيد سمات ذلك المجتمع ودوافعه . كما يدعى اساتذة علم طبائع البشر اننا اذا ما عرفنا الدوافع الكامنة فى النفس البشرية سهل علينا تتبع ما يصدر عنها من نوازع ورغبات وبدوات كما يزعم علماء الاجناس اننا اذا ما تعمقنا فى معرفة الاجناس استطعنا ان نلج الى مغلق الشخصية البشرية وهكذا ... قل ما شئت عن الفلسفة والاجتماع الخ ...

اما فى ميادين الفنون الجميلة فان هذا الصراع يجد ميداناً فسيحاً . فمجال الموسيقار والشاعر والناثر فسيح لا يحده خيال فهو ينهل من العلوم واللغات ما شاء له الله ان ينهل ويصوغ منها ما تسمح به طبيعته وموهبته الفياضة . والرسام والنحات يعكس من الوان الطبيعة واحاسيس البشر ونزعاتهم ما يريد .

ومع اختلاف الوسائل والأساليب فعندى ان العبرة فى كل هذه المحاولات للتعرف على كنة الطبيعة والنفس البشرية يرجع الى حد كبير الى عبقرية الباحث او الفنان من ناحية والى معرفته بالوسائل التى يستعملها فى الغوص لاستخراج مكنون الدرر . فالالهام اساس لا محيص عنه ومعرفة الادوات التى تبرز الموضوع اجهزة لابد منها لتفهم ما قصد اليه المؤلف .

تقودنى هذه الملاحظات العابرة والمقارنات المتباعدة الى ميدان جديد اود ان الفت اليه نظر المتأدبين عساهم واجدين فيه ما اجد من لذة وامتاع متصاعد الذروات . ودعنى اقرر مقدما اننى لم اقرض الشعر ولا اعرف منه الا ما احب . وما ينساق على القريض يطابق فهمى للموسيقى .

وغنى عن البيان ان ليست هناك متناهيات absolutes فى الفنون الجميلة اى انه من هذر القول ان يقال لنا ان هذه القصيدة الشعرية او تلك القطعة الموسيقية هى خلاصة النتاج الانسانى من الموسيقى او الشعر التى لا يأتيها الباطل من خلفها او من بين يديها ، واننا لذلك لابد ان نتذوقها ونعجب بها ونتغنى بها فى الأصائل والأسحار .



فاقصى ما تصبو اليه الفنون الجميلة ان تضع بين ايدينا الوانا من النتاج كما يقدم الجنان افوافا من الزهر ويترك لنا محض الحرية ان نختار منها ما يوائم طبعنا ومزاجنا من آن لآخر . وهذا لا يعني ان ليست هنالك وسائل تختلف قوة وضعفا في العرض والاخراج ولكنه حتما يعني ان يترك الحكم للمستسيغ فلا تثريب عليه ان استقبل النتاج بالاستحسان او النفور . كما وانه من الناحية الاخرى لا يعني ان عدم استحسان العمل الفني في جيل او حقبة تاريخية ما يقضي عليه بالفشل المحقق ابد الدهر فقد تأتي فترة زمنية واناس آخرون يولونه ما يستحق من تقدير واعجاب . وما دام عماد القول في هذا المضمار هو ان ينتقي المعجب ما يحب من افانين الموسيقى والشعر والرسم والتصوير فانني اقرر هنا انني من المعجبين بسمفونيتي بيتهوفن السادسة والخامسة على هذا الترتيب . ظللت استمع اليهما اعواما طوالا واحصل على التفسيرات المختلفة لهما من عزف وايقاع ومقال مما اقض اصراري عليهما مضجع بعض الرفاق والاحباب ممن ضمهم سامري في بعض الامسيات التي حاولت فيها ان اقدم لهم بعض ما اشتهي من السمر وكنت دائما احمد لهم حسن الاستماع واعذرهم عندما اوغل في بداوتي وفي اصراري على استعادة التفسيرات المختلفة للحن الواحد .

وفي الصيف الماضي قادني حسن الطالع الى لبنان الجميلة حيث مهد لنا الصديق الاديب العربي الكبير السيد السفير اسعد الأسعد لقاء امير الشعراء وخلاصة امجاد الادب العربي بشاره عبد الله الخوري (الاخطل الصغير) فقضينا ساعة في داره المضياف مليئة بالشعر والعطر الفواح حيث قرأ علينا شيئا من شعره الرقيق . وطبيعي وقد تعرفت الى شعره في الثلاثينيات ان اطلب اليه ان يقرأ علينا عصماءه في رثاء امير الشعراء المرحوم احمد شوقي . فحدثنا عن الظروف التي ألفها فيها والملابسات التي انشدها فيها واهدانا ديوانه وعندما خرجنا ودعنا الى باب داره والمعجبون من جيرانه يرمقون بالغبطة وفود الافارقة العرب او العرب الذين لونت افريقيا جباههم بشمسها المشرقة .

وعدت للسودان وعاودني الحنين الى شعر الثلاثينيات فقرأت رثاء الأخطل الصغير لشوقي ولسعد زغلول مرارا وتكرارا فوجدت فيهما صورا ومرثيات واحاسيس وذروات تشبه السمفونيات الموسيقية وبدا لي انه من المستطاع عقد مقارنات بين قصيدتي بشاره الخوري وسمفونيتي بيتهوفن . ان المتأمل في سمفونية بيتهوفن الخامسة لابد له ان يلاحظ انها تبدأ باربع نغمات سميت «القدر يطرق بابك» يليها بيت القصيد Leitmotiv

وان بيتهوفن استعمل بيت القصيد هذا كأساس لسمفونيته الخامسة وانه يعيده على مر السمفونية في بطء او سرعة وفي اختلاف للأداء الموسيقي في اجزاء السمفونية الباقية .
وقصيدة بشاره الخوري في رثاء السياسي المصري سعد زغلول تبدأ بمطلع واضح هو بيت القصيد حيث يقول :

قالوا دهت مصر دهباء فقلت لهم
هل غيض النيل ام هل زلزل الهرم
قالوا اشد وأدهى قلت ويحكم
اذن لقد مات سعد وانطوى العلم

ويستعيد بشاره الخوري هذا المطلع في الوان مختلفة على مر قصيدته فهو يقول :

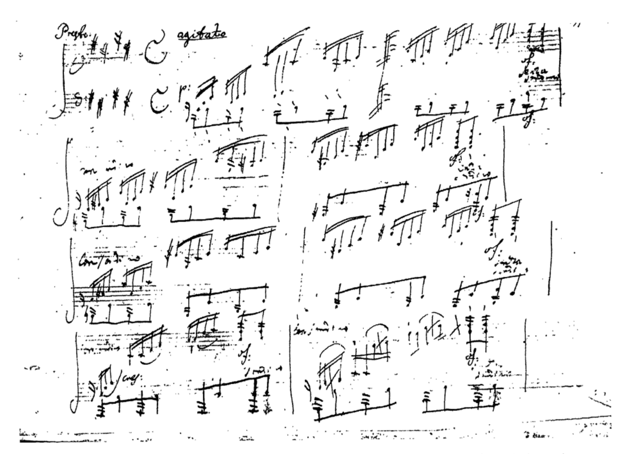
جاء النبيون من قبل فما لأموا
وجاء سعد فشمل الشرق ملتئم
القائل الحق لا تثني اعنته
والواحد الفرد في اثوابه امم

وحينا آخر :

لم لا تقولون ان الغرب مضطرب
لم لا تقولون ان الشرق مضطرم
لم لا تقولون ان العرب قاطبة
تيتموا كان زغلول ابا لهم

وهكذا ....
وهذه الأبيات في معناها ومبناها تفسير لمطلع القصيدة او بيت القصيد وان اختلفت في تعابيرها وصياغتها .
اما السمفونية السادسة لبيتهوفن Pastoral فهي تصور الطبيعة في ابدع اسلوب موسيقي وقد كتبها بيتهوفن في نفس الحقبة التي كتب فيها السمفونية الخامسة وتمتاز عليها بنعومتها ورقتها الفائقة (او كذلك اعتقد) .
وقصيدة بشاره الخوري في رثاء احمد شوقي تبدأ بالاسلوب العربي القديم بالوقوف امام شيء ما ؟ ولكن الخوري ابى ان يقف امام الرسوم الدوارس وآثار ان يقف في ربا الخلد ... حيث يصور مكانة الشاعر بين الحور واتراب مريم ورهط جبريل والملهمين بني هومير وحيث تقف الآهة الشعر عن يمينه وربة النثر عن يساره ... ثم ينتقل

بيتهوفن، قالب وجهه في حياته، سنة ١٨١٢، محفوظ في دار بيتهوفن في مدينة بون التي صرحت لنا بنشرها.



صحيفة من السوناتا المساة «نور القمر» Mondscheinsonate بخط الفنان. من المخطوطة المحفوظة فى دار بيتهوفن فى مدينة بون .
نشكر ادارة Beethovenhaus التى صرحت لنا بنشرها.

الى وصف الوادى الخضير الذى يغمره النهر العظيم بكل اخضر حالى العود ناضره ..

بالبلبــل المتغنى فى ملاعبـــه
والسنبل المتثنى فى غــدائـــره
بالحقـل ترعى بـه القطعان هائثة
والنحــل يرضع من ثـدىى ازاهره

ثم تأتى العاصفة التى تعصف بالوادى الخضير وعندئذ ينتقل بصورة فتعبث ريشته بالالوان القاتمة فالسوداء بعد ان كانت مليئة بالالوان المشرقة الزاهية ويدلف فى نحيبه فتتوارد المعانى الحزينة حيث يقول :

وأسلم الزهر اجيادا منضـــرة
للشوك جفت على دامى اظافره
وللجداول انــات مجــرحــة
كأنها حمـل فى كـف ناحره
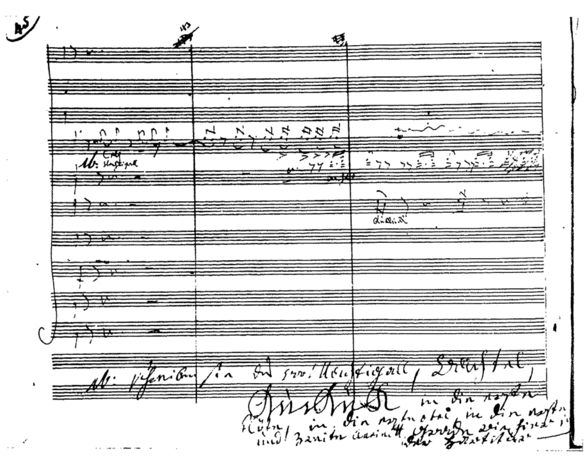
حتى يصل الى ذروة هذه الصورة :

والناس فى غمرة عميـاء لا وتـر
لناشديـه ولا لحـن لسامـــره

ثم يقارن بين الخطب الذى حل بالبلد الجميل عندما غار ماؤه ونضب نهره بالفجيعة الكبرى التى حلت بالكون باسره عندما فقد الشعب شاعره العظيم فيثبت انها ادهى وامــر

ما الخطب بالنهر مجرى الروح فى بلد
فرد رقيق حواشى الذكر داثـــــره
كالخطب يذوى لــه كون بجملتـــه
اذا اصاب الردى شعبـــا بشاعـره

والبيتـان الاخيـران يكونـان بيت القصيـد Leitmotiv فى هذه القصيدة .
والمستمع الى سمفونية بيتهوفن السادسة يجد فيها كما فى مرثية بشاره الخورى لاحمد شوقى وصفا للطبيعة فى ابهى حللها وذلك فى الحركة الاولى وفيها منظر الجداول الرقراقة



بيتهوفن، صحيفة من السمفونية السادسة لبيتهوفن المسماة Pastorale بخط الفنان، محفوظة فى دار بيتهوفن، فى مدينة بون، التى صرحت لنا بنشرها.

والوادى الخصيب والقطعان الهانئة. وفيها اجتماع اهل القرية يرقصون على نغمات الفالس مما يذكرنا قول بشاره الخورى :

يستقبل الفجر اهلوها بغرته
ويغرقون الليالى فى سرائره

وفى القصيدة والسمفونية على حد سواء عاصفة هوجاء. وتتميز القصيدة على السمفونية بانها تحوى بيت القصيد عند منتصفها.

وهنالك توافق بين بيتى القصيد فى مرثيتى بشاره الخورى وان اختلفت الالفاظ فانى لا ارى كبير فرق فى المعنى بين قوله :

قالوا دهت مصر دهياء فقلت لهم
هل غيض النيل ام هل زلزل الهرم
قالوا اشد وادهى قلت ويحكم
اذا لقد مات سعد وانطوى العلم

وبين قوله :

ما الخطب بالنهر مجرى الروح فى بلد
فرد رقيق حواشى الذكر دائره
كالخطب يذوى له كون بجملته
اذا اصاب الردى شعبا بشاعره

وعندما اجرؤ على عقد هذه المقارنات بين القصيدتين والسمفونيتين فاننى اقرر بداءه ان المناسبات التى قيلت فيها قصيدتا بشاره الخورى هما من باب الرثاء وسيمفونيتى بيهوفن لا صلة لهما بذلك البتة. كما واننى اشك كثيرا فيما اذا كان بشاره الخورى قد اطلع على الموسيقى الكلاسيكية الغربية ولكن نواحى المطابقة هى فى استشعار جمال الطبيعة وتصويرها. فقد كانت الطبيعة تعنى كل شىء عند بيتهوفن كما عند بشاره الخورى. واذا ما التقى الشاعر فى سبحاته بالموسيقار فى عليائه فهذا هو التقاء العباقرة يعبرون عن احاسيس النفس البشرية باساليب وان اختلفت فهى متفقة فى مبناها.

محمد الفيطور
الطوفان الأسود

نبـذة عن الشـاعر

• ولد عام ١٩٣٠ ، من أبوين متوسطى الحال ، الأب سودانى والأم نصف سودانية ، نصف ليبية .
• قضى طفولته ، والشطر الأول من صباه ، بمدينة الاسكنـدرية .
• تلقى تعليمه الابتدائى ، والثانوى بالاسكندرية ، وتعليمه العالى بجامعة القاهرة (كلية دار العلوم) .
• المؤثرات الأولية ، التى كونت شاعريته :

١ـ تفتحه وهو طفل على أصوات ليالى الذكر ، ودقات الطبول ، والمدائح ، والاناشيد الدينية ، التى كانت تقام بمنزل والده ، بالاسكندرية .
٢ـ قراءاته للاساطير الشعبية القديمة ، مثل عنتره بن شداد ، وسيف بن ذى يزن ، وحمزه البهلوان ، وألف ليله وليله .
٣ـ انتقال اسرته عام ١٩٤٤ و١٩٤٥ ، فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، الى الريف المصرى (بلدة كفر الدوار) ، حيث كانت مراهقته مصحوبة بموثرات الطبيعة العذراء .
٤ـ قرأ للشعراء القدماء العرب (شعراء الصعاليك) ، شعراء المعلقات ، شعراء العصور الاسلامية المختلفة ، شعراء المهجر . كما قرأ لشعراء ترجمت اشعارهم ، مثل (بودلير ، ورامبو ، ولونجفلو وأخيرا لبابلو نيرودا ، وناظم حكمت ، وت . س . اليوت) .

•• أصدر ديوانه الأول (اغانى افريقيا) عام ١٩٥٥ . يعتبر هذا الديوان اول مجموعة شعرية كاملة ، تتناول قضايا القارة الافريقية المتحررة ، بروح شعرية ، وصياغة تعبيرية عربية .
•• لديه مجموعة شعرية تحت الطبع (الشمس فى الظهيرة) تحتوى عددا آخر من اشعاره السياسية والعاطفية .

MUHAMMAD AL-FAYTUR · DIE SCHWARZE FLUT

Nun wusch das Licht deine Erde,	لقد غسل النور ارضك ...
Selbst deine Keller, die finsteren, feuchten,	حتى سراديبك الرطبة المظلمة
Der Morgenschein hauchte in sie hinein,	مشى الفجر فيها بانفاسه
Ließ künftige Tage silbern leuchten,	يفضض ايامك القادمة
Hörst du die Lieder der Neger,	فهل تسمعين اغانى الزنوج
Wie sie hallen, beladen mit Leben?	تدوّى مثقلةً بالحياة
Und siehst die Gesichter der 'Sklaven'	وهل تبصرين وجوه العبيد
Lachend Tyrannenleichen umgeben?	تقهقه حول نعوش الطغاة
Du warst ein riesiger Friedhof,	لقد كنت مقبرة ضخمة
Von Eroberer-Rossen zertrampelt,	تدوس عليها خيول الغزاة
Und du warest der Rest einer Sage,	وكنت بقية اسطورة
Besudelt, von den Lippen bespieen.	ملوثة بصقتها الشفاة

الطوفان الأسود

لقد غسل النور أرضك ..
حتى سراديبك الرطبة المظلمه
مشى الفجر فيها بأنفاسه
يفضّض أيامك القادمه
فهل تسمعين أغاني الزنوج
تدوّي مثقّلةً بالحياه
وهل تبصرين وجوه العبيد
تقهقه حول نعوش الطغاه

لقد كنت مقبرة ضخمة
تدوس عليها خيول الغزاه
وكنت بقيّة أسطورةٍ
ملوّثةٍ بصقتها الشفاه
بلاد العبيد .. افريقيا
يا بلاد الزنوج الحفاة العراه

الصفحة الاولى من قصيدة «الطوفان الاسود» بخط الشاعر

„Land der Sklaven — Afrika!
Oh Land der nackten barfüßigen Neger —
Du siehst, wie in ihrer Nacktheit sie gehen
Und wie sie leben ein anderes Leben?
Mit ihren Leibern ... dem herrlichen Ebenholz
Geschnitten in menschliche Gestalt,
Mit ihren Feuern in Bergeshöhlen,
Mit Kindern, versteckt in den Stämmen im Wald?"
„— Wann find' ich das Geld,
Einen Schuh mir zu kaufen, einen Hund, und ein Kleid zu tragen,
Um zu Afrikas Erde zu laufen,
Eine Karawane von Sklaven zu jagen?
Denn ich bin ein Mann weiß wie Schnee,
Doch bin ich nicht groß, denn arm bin ich hier!
Doch hatt' ich Gefährten —
Die kehrten zurück, gewaltig und reich.
Was gehe ich nicht wie ihr?
Wie sehr begehr' ich den heißen Leib
Einer glutvollen Negerin —
Man sagt ja, der Sklavinnen Fleisch:
Duft sei, Aroma darin.

— «بلاد العبيد ... افريقيــا
يا بلاد الزنوج الحفاة العراة
ترى كيف يمشون فى عريهم
وكيف يعيشون خلف الحياة
واجسامهم ... ذلك الابنوس العجيب
المفصل مثل البشر
ونيرانهم فى شعاب الجبال
وأطفالهم ... فى بطون الشجر»
—: «متى اجد المــال ؟
كى اشترى حذاء ، وكلبا ، وثوبا جديد
وامضى الى ارض افريقيا
لاصطاد قافلة من عبيد ! »
فانى آمرؤ ابيض كالثلوج
ولست عظيما لأنى فقير
وقد كان لى رفقة
ثم عادوا سراةً ... عظاماً
فلم لا أسير ! ؟
— : «كم اشتهى جسداً دافئاً
مهيباً ... لزنجية جامحة
فقد قيل ان لحوم الجوارى
لها نكهة ... ولها رائحة

Land der Schätze — Afrika,
Oh Land der nackten barfüßigen Neger!
Ich komm zu dir eines Tages: erobernd,
Und will den Reichtum und will das Leben!"

بلاد الكنوز ... افريقيــا
يا بلاد الزنوج الحفاة العراة
سآتيك يوما ... كغازٍ جديد
يريد الغنى ... ويريد الحياة»

So lebtest du tausende von Jahren,
Niedergebeugt .... über heidnischen Sünden,
Bis sich das Morgenlicht zu dir streckte
Und du zerrissest das Leichentuch,
Und standest auf, Riesin, den Morgen grüßend,
Und änderst die Richtung des Windes im Licht,
Und gräbst von neuem deine Geschichte
Mit blutiger Schrift auf der Sonne Gesicht!

كذلك عشت الوف السنين
تخرين ... فوق خطايا وثن
الى ان تسلل ضوء الصباح اليك
فمزقت عنك الكفن
وقمت كمارضة تتلقى الضُحى
وتحول مجرى الريــاح
وتحفر تاريخها من جديد
على جبهة الشمس حفر الجراح !

Hörst du die Lieder der Neger,
Wie sie hallen, beladen mit Leben?
Und siehst die Gesichter der ‚Sklaven'
Lachend Tyrannenleichen umgeben?

فهل تسمعين اغانى الزنوج
تدوى مثقلةً بالحياة
وهل تبصرين وجوه العبيد
تقهقه حول نعوش الطغاة

So sang er für sie
Und läutete wahnsinnig Glocken —
Doch ach, die Fesseln umschlangen noch ihre Füße,
Gefängnisse wurden auf ihrem Boden gebaut,
Und Galgen errichtet — und unverhofft kam oft der Tod.
Er aber trug in seiner Seele
All seiner Ahnen Empörung,
Empörung eines, der eine Nacht verbracht,
Wasser zu gießen auf einen Herd,
Und als er nicht wollte,
Zerrissen ihn Peitschen —
Und er zerschmettert' den Schädel des Herrn.
. . . Und die eines andern: es schliefen die Schafe
Und erwachten beim Klang seiner Hirtenflöte:
Da, eines Nachts, fiel es ihm, undankbar, ein,
Sie alle zu schlachten . . . . und er schlachtet' auch ihn . . .

كذلك كان يغنى لهـا
ويقرع ناقوسه فى جنون
وان لم تزل تتلوّى القيود على قدميها ...
وتبنى السجون على ارضها
وتقام المشانق .. ترتجل الموت فى كل حين !
فقد كان يحمل فى روحه
تمرد اجداده اجمعين .
تمرد جدّ قضى ليلة
يصب المياه على الموقد
ولمـا أبى ...
مزقته السياط
فحطم جمجمة السيد !
... واخر كانت تنام الشياه
وتصحو على صوت مزماره
وفى ليلة كفرت روحه
بجزارهـا ... ويجزّاره

Und hob an . . . und steckte die Felder an,
Und sie schmolzen als Hölle vor dem Idol.
Der Morgen sah ihn dann, auf dem Sand,
Sein Grabtuch des Rächers Glorienschein.

فهبّ ... فأشعل احقاده
فسالت جحيما بوجه الصنم
وابصره الغد فوق الرمال
تكفنه عزة المنتقم

. . . Und die eines anderen, schwarzen, finstrer Erscheinung,
Lang und sehr hoch wie der Mast eines Schiffs,
Von dem man sagte, er sei geboren
In einer traurigen Winternacht;
Und man sagt auch, daß damals das erste Heer
Von Weißen den Boden der Heimat befleckt.
Nun schläft er im Grab, das seine Mitstreiter
Aushoben hinter den Mauern der Zeit —

... وآخر اسود بادى العبوس
طويل ، رفيع ، كصارى سفينة
وقد حدثوا ان ميلاده
باحدى ليالى الشتاء الحزينة
كما حدثوا ان أول جيش
من البيض ... دنس ارض الوطن !
ينام بمقبرة حفرتها محاربيه
خلف سور الزمن ...

Und er glaubte in seinem Inneren tief
An die Freiheit der Schwarzen, der Unterdrückten,
Ja, daß die Tyrannen aufhören würden
Und die Götter der Menschen stürzen . . . .

وقد كان يؤمن فى عمقه
بحُرية السود والكادحين
وحتّى الطغاة الذين انتهوا
وآلهة البشر الساقطين ...

Und wie der Tod, wenn er das Leben umhüllt
Mit seinen Freuden — mit seinen Leiden,
Wie das Schweigen, wenn es die Felder umfängt
Mit ihren Stimmen — mit ihren Farben,

وكالموت حين يُغطى الحياة
بأفراحها ... وبأحزانها
وكالصمت حين يَضُمّ الحقول
بأصواتها ... وباالوانها



لوحة لابراهيم الصلاحى.

ولد ابراهيم الصلاحى فى ام درمان فى ٥ ايلول من عام ١٩٣٠، ودرس مدة ثلاثة اعوام فى كولج جوردون التذكرية حيث ختم دراسته سنة ١٩٥١، وقد عمل بعد ذلك مدرسا للرسم فى المدرسة بوادى سيدنا، ثم ارسل فى بعثة حكومية عام ١٩٥٤ الى لندن لمواصلة دراسة فن الرسم فى The Slade School of Fine Arts؛ حيث انتهز فرصة وجوده فى اوروبا وزار مدينة فلورنس للتعمق فى تاريخ الفن الايطالى. واخيرا عاد الى وطنه سنة ١٩٥٧.

وقد اصبح ابراهيم الصلاحى رئيسا لشعبة الرسم فى مدرسة الفنون الحية والتطبيقية، وهو قد فاز بجوائز مسابقات الرسم التى عقدت فى السودان، ولذلك فقد انعمت عليه هيئة اليونسكو بمنحة دراسية مكنته من السفر الى الولايات المتحدة وجنوبى امريكا وباريس ولندن فى عام ١٩٦٢.

وقد اقيمت معارض كثيرة لابراهيم الصلاحى فى خرطوم وعبدان وباريس ١٩٦٢ ولندن ١٩٦٣ وواشنجتون كما حصل على جوائز عدة فى معرض وارسو الدولى ومعرض لندن عام ١٩٥٦.

Erschien es ihm wie ein Weidenbaum,
Zu dem sich die Schatten alle gewandt,
Und die Hände der blinden Mittagsglut
Nagelten seinen Fuß in den Sand.
Er zog seine Trauer an seine Brust
Und schloß die Lider im Schweigen,
Wie ein Toter, mit dem eine Welle spielt,
Sich mit traurigem Dröhnen auf ihn zu neigen,
Und er begann, die Fülle der Träume zu sehn,
Inseln im Nebel versinkend,
Beschattet von blauenden Schleiern,
Durchscheinend, durchscheinend, in der Farbe des Heils,
Und dort, beim Nordwind, gab es entfernte
Felder mit wogender Ernte,
Und Scharen von Schwarzen, beschäftigt,
Die Schober zu Hügeln zu stapeln,
Und ihre Stimme ... und ihr Jubelgeschrei
Schwebten empor von fern in der Weise
Wie Morgens die Nebel der Felder verziehn,
Ganz leise ....
Und wenn die Vögel der Abendzeit
Am Horizont reih'n ihre güldenen Flügel
Und weiter picken des Schweigens Kleid
Mit ihren ermüdeten Schnäbeln,
Siehst du sie über den Straßen strahlen
Oder auch hinter den Bäumen versteckt,
Denn sie kehren nach Hause zurück,
Schwer ihre Hände mit Blumen bedeckt ...

Und sein zärtlicher Traum berauschte ihn
Und er verstreute all seine Sehnsucht,
Und er umarmte nun all seine Brüder weinend,
Und seine Hände streckte er aus zu den andern,
Und seine Freude ließ ihn erbeben ....

Da, er erwachte
Im Schatten eines Weidenbaumes,
Und da waren alle die nackten Neger,
Welche bewegte der Aufstand des Sturms,
Und er fing an zu singen mit all den andern,
Während sie gegen jene Tyrannen marschierten,
Und er grub auf die Mauer der Zeit
Afrikas blutende Lieder!

Deutsch von Annemarie Schimmel

تراءت له مثل صفصافة
تفيء اليها جموع الظلال
وكانت اكفُّ الهجير الضرير
تسمر اقدامه فى الرمال
فوسد احزانه صدرها
واطبق اجفانه فى سكون
كميت تداعبه موجة
وتهوى به فى اصطخاب حزين
وراح يرى ملء احلامه
جزائر غارقةً فى الغمام
يظللها نغم ازرق ...
شفيف ... شفيف بلون السلام
وكانت هناك عند الشمال
حقول متوجة بالغلال
وقوم من السود مستغرقون
يرصون اكداسها فى التلال
واصواتهم ... وزغاريدهم
ترفرف صاعدة من بعيد
كما يتصاعد كل صباح ضباب الحقول
ببطء شديـد
وحين تصف طيور الغروب
على الافق اجنحها المذهبات
وتمضى تنقر ثوب السكون
بكل مناقيرها المتعبات ...
تراهم يلوحون فوق الدروب
أو يتوارون خلف الشجر
وهم عائدون الى دورهم
بأيدٍ مثقلةٍ بالزهر

وأسكره حلمه العاطفى
فبعثر اشواقه اجمعين
وعانق اخوانه باكيا
ومد يديه الى الاخرين
وهزته افراحه ... فأفاق
على ظل صفصافة واقعة
وكانت جموع الزنوج العراة
تحركها ثورة العاصفة
فسار يغنى مع السائرين
وهم زاحفون الى الطاغية
ويحفر فوق جدار الزمان
اغانى افريقيـا الدهية



رقابة النفس الداخلية في التعاليم الاسلامية

بقلم الدكتور صالح الشماع ، بغداد

أشتهر المعتزلة فى الاسلام بأنهم اهل التوحيد والعدل ، إى أنهم يؤمنون بوحدانية الله وعدله — وهذا المبدأ الأخير يعنى حرية الارادة الفردية وقدرة الانسان على السيطرة على افعاله ، وفى هذا المبدأ الثانى يقف المجبرة ضد المعتزلة . واضح من هذا ان المعتزلة هم اقرب فى تعاليمهم الى فلسفة إمانوئيل كنت I. Kant الذى يجعل حرية الانسان المطلقة الحكم الاعلى فى تقدير مسائل الاخلاق . لكن دون مقارنة تفصيلية مع كنت لننظر الى أى حد تسمح تعاليم الاسلام للصوت الداخلى فى الفرد !

الاسلام كشريعة إلهية تعتمد دون شك على سلطة الله المطلقة — بكلمة اخرى لابد ان تتحدد سلطة الفرد . لكن هل يعنى الايمان بالله إنتفاء مسئولية الفرد ؟ بالعكس ، إذ أن أهم فكرة فى القرآن بعد الوحدانية هى فكرة يوم الدين — أى الحساب فى العالم الآخر وسؤال الفرد عما عمل فى هذه الحياة الدنيا . واذا أقام كنت مذهبه الاخلاقى على اساس رفض الايمان بالله واعتبار ان فكرة الله غير ضرورية لتقويم الموازين الاخلاقية القسط ، فإن الاسلام على العكس يقيم توازياً بين محكمة يوم الدين ومحكمة القلب ، بين رقابة الله فى الكون اجمع ورقابة صوت الفرد الداخلى .

إن بعض امثلة قليلة من فترة السنوات المكية الاوائل للبعثة الشريفة من القرآن الكريم قد تؤكد ما ذكر اعلاه . (١٠٠ : ٦—٧) : «إن الانسان لربه لكنود ، وإنه على ذلك لشهيد !» اى الانسان ليشهد ويعترف بنكرانه لله وجحوده نعمته . أو : (٨١ : ١٣—١٤) : « واذا الجنة ازلفتْ ، علمتْ نفس ما احضرت» . (٩٩ : ٦—٧) : «يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا اعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره !» (١٠١ : ٦—٧) : «فأما من ثقلت موازينه ، فهو فى عيشة راضية» . (٧٤ : ٣٨) : «كل نفس بما كسبت رهينة» . (٧٩ : ٣٥) : «يوم يتذكر الانسان ما سعى» .

هذه امثلة توضح لنا ان الفرد مسئول وان الله اذا حاسبه يوم القيامة فان الحساب يعتمد على شهادة الفرد واعترافه ، وتذكره وتأييده لحكم الله .

إن الله ذو سلطة مطلقة دون شك ، والله يحدد افعال الفرد بصورة غير مباشرة (٧٥ : ٣٦ «أيحسب الانسان أن يترك مسدى ؟») ، لكن كما يبدو فى النص القرآنى التالى : «ونفس وما سوّاها ، فالهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكّاها» (٩١ : ٧—٩) ان الله يضع فى النفس الانسانية عنصرى الفجور والتقوى ، اى الشر والخير ، وبعد ذلك

للفرد ان يختار بين الطريقين : طريق الفجور اوطريق التقوى (٩٠ : ١٠ «وهديناه النجدين») . فالله فى المدى البعيد هو خالق الخير والشر ، وهو الذى اذا — كما يقول المجبرة — يدفع الفرد الى الخير والشر ، لكن الفرد فى المدى القريب مسؤل عما يفعل — كما يقول القدرية والمعتزلة — فهو حر الارادة وعقله وقلبه يحددان افعالـه !

ويبدو ان الوحى الكريم يصف ان فعل الخير يوجد الرضا والطمأنينة فى النفس (٨٩ : ٢٧—٢٨ «يا ايتّها النفس المطمئنة ، ارجعى الى ربك راضية مرضية») . قارن ايضاً (٨٨ : ٨—٩) . وعلى العكس فان إتيان الفجور يسبب الملامة ويؤدى الى الندم والحسرة ، فالنفس اللوامة (٧٥ : ٢) يشير اليها القرآن بكل تقدير ، قارن ايضا (٦٨ : ٣٠—٣١ : «فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ، قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين») .

وكما ان هناك فى كل محكمة طرفى نزاع وحكم بينهما فالنفس البشرية هى الرقيبة على نفسها وهى كما قال المتنبى فى سيف الدولة (فيك الخصام وانت الخصم والحكم !) او كما يقول القرآن الكريم (٧٥ : ١٤—١٥ : «بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره») ، وانظر الى اعتراف المجرمين بذنوبهم (٧٤ : ٤١ وما بعدها) . الا ان القرآن لا يتحدث حديث كنت فى كتابه «نقد العقل الخالص» Kritik der reinen Vernunft وانما يشحن تعاليمه عن المسئولية الفردية ورقابة النفس باحاديث عن الملائكة والجن والشياطين مما يضيف للوهلة الاولى بعض الغموض الى النصوص الواضحة المشار اليها اعلاه . هكذا تنضاف الرقابة بصورة ما الى الملائكة (٨٢ : ١٠—١٢ : «وإن عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين ، يعلمون ما تفعلون» — قارن ايضاً ٨٣ : ١٨ وما بعدها) . او لعل الملائكة تشفع للانسان وتدافع عنه يوم القيامة (٧٨ : ٣٨ : «يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا») ، وفى مواضع اخرى يبدو ان كل ما للانسان من مشيئة هى نتاج مشيئة الله ، اى كأن ليس للانسان ارادة مطلقاً (٧٦ : ٢٩—٣٠ : «إن هذه تذكرة فمن شاء إتخذ الى ربه سبيلا ، وما تشاؤون الا ان يشاء الله ...») .

هذه النصوص الأخيرة التى هى من نوع المتشابهات يمكن فهمها فى ضوء ما سبق تقريره من قبل ، فسواء سجلت الملائكة افعال الانسان من خير او شر او أن افعال الانسان تسجل باى طريقة اخرى ، فان الفرد فى نهاية الأمر مسؤل عن هذه الافعال التى ستواجهه وجهاً لوجه دون ان يستطيع ردها يوم يقوم الحساب وميزان الاعمال . وكذلك مهما سيطر الله على توجيه الفرد فان الرقابة الداخلية ، او صوت الوجدان ، لها بمعنى واضح الدخل الاكبر فى توجيه اعمال الفرد وتحديد مصيره . وبهذا القدر الأخير ينتصر المعتزلة على خصومهم المجبرة ويتلاقون فيما يتصل بالحرية الاخلاقية بتعاليم الفيلسوف الالمانى الممتاز إمانوئيل كنت — على الرغم من الفوارق الاخرى بين تعاليم الاسلام وتعاليم الفلسفة الحديثة.

وختاماً ، لابأس من إكمال الصورة المقدمة اعلاه بعدد من الاقتباسات من سورة الانعام (السادسة) وهى سورة مكية متأخرة وبعض آياتها مدنى .

فالمسئولية فردية بحتة «ولا تكسب كل نفس الا عليها ، ولا تزر وازرة وزر اخرى (آية ١٦٤) » ، وهى مرتبطة بظاهر الاعمال وباطنها ، اى بالنية : «وذروا ظاهر الاثم وباطنه (١٢٠) » ، «ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن (١٥١) » . ويؤيد هذا الحديث المشهور الذى يفتتح به البخارى صحيحه وهو : «إنما الاعمال بالنيات ، ولكل امرئ ما نوى» . ومعروف عند فقهاء المسلمين مقام النية فى كل الطقوس والعبادات الدينية . ولهذا كان إتيان السوء عن غفلة وجهالة وليس عن سوء قصد مما يغفره الله اذا تاب عنه المسلم (الآية ٥٤) .

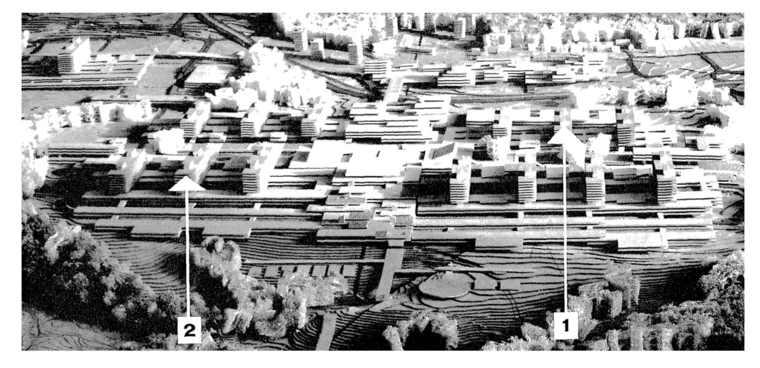
ان الصوت الداخلى للفرد — نيته او ضميره بلغة كنت — ذو علاقة صميمة بادوات الملاحظة ، السمع والبصر ، وبالعقل او البصيرة . ولهذا كان من شأن الذى يسمع ويفهم ما يسمع ان يعقل ويستجيب او كما يقول القرآن الكريم : «إنما يستجيب الذين يسمعون» (٣٦) . «قل أرأيتم إن اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به ...» (٤٦) . وهنا كان الختم على القلب تعبيراً عن عدم الفهم وبلادة العقل ، وهو ما يتصل بعدم القدرة على السمع والبصر ايضا . والمحاكمة العقلية اذا حسنت حسن معها البصر واذا ساءت ساء البصر : «قد جاءكم بصائر من ربكم ، فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها» (١٠٤) .

من هذه الاشارات القليلة نستطيع ان نجد رابطة اخرى بين المحكمة التى يقيمها القرآن فى فؤاد الفرد وبين النزعة العقلية فى الانسان . والواقع ان المعتزلة ليسوا هم المدرسة العقلية الوحيدة فى الاسلام ، بل ان مذاهب الفقه الاسلامى وعلم الكلام الاسلامى وعلوماً اسلامية اخرى فى التفسير والفلسفة وسوى ذلك من جوانب شتى للفكر الاسلامى تقوم اساساً على ما فى القرآن الكريم من ربط بين العقل والوجدان أو بين أغراض الدين ومصالح الفرد .

ثورة خلاقة فى النظم الجامعية

بقلم مجدى يوسف

منذ أن عرف الانسان الآلة دخلت قاموسه اللغوى لفظة جديدة تدعى «التخصص» . فقديما كان المفكر الحكيم — وهو بديل الأستاذ الجامعى فى عصرنا هذا — هو من تبحر فى الطب والهندسة والفلك والنفس البشرية والحيوانية والرياضيات والموسيقى ، وهو من كانت له فوق هذا نظرية فى المعرفة وما وراء الطبيعة . فقد كانت «محبة الحكمة» Philosophia — تلك اللفظة الاغريقية التى صارت تنطق فى كل اللغات بصورة واحدة — أما لجميع العلوم التى كانت آنذاك فى دور الحضانة الفلسفية ، حيث لم يكن لها صفة شرعية بعيدا عن الفلسفة .
ثم دارت عجلة التاريخ ، وشبت بعض العلوم باحثة لنفسها عن كيان مستقل يميزها عن أمها الفلسفة ، وكانت السمة الأولى لهذا الاستقلال تتمثل فى بزوغ المنهج العلمى . فألفينا علوم الطبيعة تعتمد على الملاحظة والتجريب والقياس الدقيق ، بينما يقتصر علم الفلك على الرصد والملاحظة ، فمن أين له بالذراع الذى يجس به نبض الكون اللانهائى إلا فى حدود ضيقة . كما رأينا أن آخر العلوم التى انفطمت عن الفلسفة — ألا وهو علم النفس — قد استعان بمعظم التجارب المنهجية للعلوم التى سبقته فى مضمار الاستقلال ... وهو الأمر الذى نلمسه فى أن الأسماء الكبرى التى ساهمت فى بلورة علم النفس ودعم منهجه العلمى قد أتت إليه من ميادين الرياضة البحتة أوالفسيولوچيا أوعلم الميكانيكا ، «فسبيرمان» Spearman الانجليزى صاحب معاملات الذكاء الشهيرة فى علم النفس المعاصر ليس سوى عالم رياضى فى الأصل ، وزيجموند فرويد Sigmund Freud أبو التحليل النفسى كان باحثا فسيولوچيا قبل أن يتحول إلى دراسة الظواهر النفسية الاكلينيكية ، وكورت ليفين Kurt Lewin صاحب نظرية الدوافع النفسية كان فى أصله عالما فى الميكانيكا . فلا عجب إن انطبع علم النفس بمناهج مختلف العلوم الأخرى ، فوجدناه فى أصوله يحتاج إلى إلمام ومعرفة بكافة المعارف البشرية .
ولعل من يقرأ أعمال «زيجموند فرويد» ، يلمس فيها بوضوح كيف لا يستطيع الباحث المنقب فى مرحلته الاستكشافية أن يكون منغلقا على ميدانه العلمى وحسب ، فكثيرا ما كان «فرويد» يجد الاجابة على أسئلته السيكلوچية تارة فى حقل علم وظائف الأعضاء (ما وراء مبدأ اللذة) ، وأخرى فى أصول اللغات القديمة (موسى والتوحيد) ، وثالثة فى الآداب العالمية (أعمال شكسبير وسوفوكليس) ، ورابعة فى النحت (تماثيل ميكايل أنجلو) وهلم جرا . فترى هل كان «فرويد» يفعل ذلك لمجرد أن يستعرض معلوماته ، أم لأنه كان يجد فى الاستعانة بكافة المحكات ضرورة حيوية بالغة الأهمية لتحقيق فروضه العلمية ؟
ولو افترضنا أن طبيعة علم النفس باعتباره آخر العلوم التى انفطمت عن الفلسفة تحتم عليه الاستعانة بمناهج ونتائج العلوم الأخرى ، فكيف الأمر إذن بالنسبة للطب أو الهندسة مثلا ؟ ترى هل يستطيع الطبيب أن يستغنى كلية عن نتائج علوم الاجتماع والنفس والاقتصاد والقانون إن هو أراد أن يكون صادقا عميقا فى تحريه العلمى حول حالة إنسان صحيح يتوهم المرض ، أو مجرم يدعى المرض ، أو فى محاولته استقصاء المعلومات التى تعينه على التشخيص ؟ وهل يستطيع المهندس المعمارى أن ينجح فى تشييد مدرسة يؤمها الأطفال دون أن يضع فى حسابه أثناء إجراء تصميمه الهندسى أن يكون طابع بناية المدرسة ومواد بنائها وألوان جدرانها وتوزيع حجراتها وقاعاتها مناسبا للعالم النفسى الذى يعيش فيه الطفل ، أو دون أن يراعى توفر الشروط الصحية فى موقع المدرسة وأفنيتها وممراتها ، أو دون أن يعمل جهده للالتقاء مع المتطلبات الحديثة لأساليب التربية الناجحة ... ؟
ولكن ترى هل تطبق هذه المبادىء التى تبدو بديهية لأول وهلة فى النظم الجامعية الحديثة ؟ هل يراعى فى تدريس الهندسة المعمارية إلمام الطالب بثمار العلوم الطبيعية والنفسية



هكذا سيبدو المركز الجامعى بعد تنقيح وتعديل تصميم البروفسور هنتريش/بتشنيج:
يبدأ التدريس مع مطلع الفصل الدراسى الصيفى لعام ١٩٦٥ فى المبانى المشار إليها برقم «١». أما أقسام العلوم الأدبية والنفسية والاجتماعية والفلسفية فستنتقل فيها بعد إلى المبنى المشار إليه برقم «٢»، بينما ستخلى غرفها فى المبنى رقم «١» لتحل مكانها أقسام العلوم الطبيعية. وتوجد ساحة الجامعة فى منتصف مربع عمارتها، حيث تتصل بشارع الجامعة عن طريق «اسانين»، وبذلك تصل ما بينها وبين أطراف المدينة.
ويرى فى أعلى الصورة من جهة الشمال الطريق الموصل إلى داخل المدينة.

والتربوية؟ وهل يراعى فى دراسة علم الآثار القديمة أن يكون الطالب الجامعى ملما بالتاريخ والاجتماع والطب وعلم النفس ومناهج العلوم الطبيعية؟
لقد قرأت مرة بحثا حول الأدب المصرى القديم لعالم شهير فى الآثار، يحلل فيه بعض القصائد التى خلفها الفراعنة على أوراق البردى، وكم كنت أتمنى لو كلف صاحب البحث نفسه عناء الاطلاع على كتاب «فرويد»: «موسى والتوحيد» Mose and Monotheism. فليس يعنينا فى هذا المقام أهمية النتائج التى ذهب إليها فرويد فى مؤلفه المذكور، وإنما عمق وأصالة المنهج العلمى الذى استعان فى تكوينه بخيوط من شبكة المعارف الانسانية جمعاء، بما فيها التاريخ واللغات القديمة.
وإذا انتقلنا إلى علوم اللغة لراعنا من الأمثلة ما يفوق الحصر! فكم من أقسام اللغات فى الجامعات الأوربية والأمريكية أصبحت تقتصر على التعصب لما تدعوه «منهج علم اللغة»، وترفض بشدة مناهج العلوم الأخرى. حتى إذا تحدثت إلى بعض طلبة اللغة العربية فى الجامعة وجدتهم لا يقبلون المناقشة فى أن لغة الزمخشرى وصاحب كتاب الأغانى هى المعيار الأساسى الذى يقاس به أى عمل أدبى أوشعرى، بينما تأتى فى المرتبة الثانية أو الأخيرة — فى نظرهم — الآداب والفنون الشعبية. وهم يغفلون فى ذلك أن بناء اللغة وتراكيبها ومضمونها الفكرى رهين بالمجتمع الذى يتحدث تلك اللغة، وأن كل حركة جديدة يعيشها ذلك المجتمع فى مجالى الزمان والمكان، تؤدى بالضرورة إلى حركة موازية فى اللغة. فالاختصار الحديث مثلا للكثير من العبارات أثر حضارى ناجم عن طموح الانسان وعجلته فى عصر الصواريخ. ومن يتطلع إلى مخطوطات رسائل بيتهوفن إلى أصدقائه يلمس فيها ذلك الاقتضاب الشديد الذى ينم عن عجلة وضيق بالكتابة التى تحول بينه وبين إبداع أنغامه. وهكذا يسهم العامل النفسى فى تطور أساليب التعبير اللغوية لدى الفرد والمجتمع، كما أن هنالك عشرات المحكات الأخرى التى تشكل آثارا بالغة الأهمية فى تطور اللغة كالثورات الاجتماعية والفكرية والدينية والحضارية والسياسية. وحتى يمكن دراسة هذه المحكات لابد لعالم اللغة أن يكون واسع الاطلاع على مناهج مختلف العلوم، وعلى الأخص علوم النفس والانسان (الأنثروبولوجيا) والتاريخ والاجتماع والصوتيات

(الفونيتيك) والحيوان . وليس المقصود هنا أن يكون عالم اللغة متبحرا فى جميع هذه العلوم على مستوى واحد مع تخصصه اللغوى ، وإنما يجب أن تكون لديه القدرة على إدراك العلاقات بين مختلف مناهج هذه العلوم وطرائق بحثها . فكثيرا ما يحدث أن يجد العالم إجابة السؤال الذى يعذبه فى ميدان بعيد عن مجال تخصصه . غير أننا إذا تطلعنا إلى معظم الجامعات الأوربية والأمريكية وجدناها تأخذ بنظام الاستقلال الكلى أو الشبه كلى للكليات عن إدارة الجامعة ، مما يترتب عليه انغلاق الكلية على ذاتها وتفتيت العلاقات بين المعاهد العلمية فى الجامعة الواحدة . وقد ارتفعت فى ألمانيا عدة صيحات من جانب مجلس العلوم الألمانى Deutscher Wissenschaftsrat يطالب فيها بعودة تناسق الجهود العلمية بين كليات الجامعات الألمانية . حتى إذا ما صار من الضرورى إنشاء جامعات ألمانية جديدة لاستيعاب بضعة الاف جديدة من الطلبة والطالبات الذين لا تتسع لهم دور الجامعات الحالية فى المانيا ، كان من الطبيعى أن يراعى فى إنشاء الجامعات الجديدة تلافى النقص الموجود فى الجامعات القديمة . وبوحى من هذه الرغبة فى إجراء تعديل جذرى ، أو — إن شئت — ثورة جديدة فى النظم الأكاديمية الألمانية ، وضعت الخطوط العريضة لتأسيس كل من جامعات «بريمن» ، و«كونستانس» ، و«بوخوم» . وسوف نفصل القول فيما يلى حول تنظيم الجامعة الأخيرة ، حيث أنها الأولى التى فرغ أخيرا من إنشائها من بين الجامعات الجديدة الثلاث .

أقسام جامعية بدلا من نظام الكليات

لعله أول ما يسترعى اهتمامنا فى تخطيط جامعة «بوخوم» — وتدعى كذلك جامعة الرور نسبة إلى منطقة الرور الشهيرة — أنها قد استبدلت نظام الكليات بالأقسام الجامعية ، وجمعت فى كل من أقسامها الثمانية عشر ومعاهدها العلمية العديدة العلوم التى تدور حول بحث قضية واحدة ، فمثلا نجد معهد «علم العمل» بهذه الجامعة يقوم بدراساته وبحوثه فى فسيولوچيا العمل وعلم النفس الصناعى وعلم التربية وقانون العمل وعلم الاجتماع الصناعى وعلم الطب الصناعى ، وكذلك يحوى برنامج معهد «الدراسات القديمة» على علم اللغات القديمة والتاريخ القديم والآثار ، أما معهد «شرقى آسيا» فيشتمل على كافة العلوم والمواد المرتبطة بهذا الموضوع بغض النظر عن تصنيفها التقليدى سواء كانت تتبع العلوم النظرية أم المعملية . وإذا كان هذا النظام الجديد يحقق تكاملا أعمق فى إدراك الطالب للحلقات المتصلة بين شتى العلوم ، فإن الغرض من إدراج دراسة الهندسة داخل نطاق هذه الجامعة هو وضع هذا التخصص الأكاديمى الذى طالما كان معزولا عن الجامعات الألمانية ، مقصورا على معاهده العالية ، فى وسط هذه الجماعة الكبيرة من عائلة العلوم النظرية والعملية . وبذلك تخف وطأة الصلابة الفكرية التى جلبتها التخصصات الآلية الحديثة على دراسة الهندسة ، كما أن فى ذلك تمكين لطلبة العلوم الهندسية من ملاحظة أهمية الدور الذى تلعبه العلوم الانسانية فى استكمال نظرتهم العلميــة .

وإذا كان مبدأ إعادة الاهتمام بوحدة العلاقات بين العلوم قد روعى بصورة أساسية وجذرية فى النظام الداخلى لجامعة الرور (بوخوم) فقد طبق نفس المبدأ بصورة جلية فى تصميمها المعمارى . إذ روعى أن يلحق بهذه الجامعة التى أعدت لاستقبال عشرة آلاف من مريدى العلم ، دورا لسكنى ثلاثة آلاف من طلبتها ، ومساكن مناسبة لأعضاء هيئة التدريس وجيش العاملين فى إدارتها ، بحيث تكون بناية الجامعة مع تلك الدور وحدة معمارية تشمل منطقة واحدة . فإذا كان استبدال الكليات الجامعية بنظام الأقسام هنا يهدف إلى التقريب بين العلوم والمعارف بشتى تخصصاتها ، فإن فى وحدة المسكن بين الطلبة من ذوى الاختصاصات العلمية المتباينة تحقيق للغرض نفسه ، إذ أنه لن تلبث بهذه الوسيلة أن تتفشى الاهتمامات العلمية المختلفة بين عامة الطلبة عن طريق تنمية العلاقات الاجتماعية بينهم .

وتعتبر المهمة الرئيسية التى يضطلع بها مدير جامعة بوخوم (الرور) هى المحافظة على تنسيق العلاقات بين مختلف الأقسام العلمية الثمانية عشر . وليس معنى ذلك هو الأخذ بنظام الادارة المركزية فى هذا الصدد — ذلك النظام الذى يتناقض فى جوهره مع التقاليد الجامعية الألمانية — وإنما المقصود هو أن يقوم مدير الجامعة بدور قائد الفرقة الموسيقية فى المحافظة على انسجام المناهج العلمية المتداخلة وتكامل معزوفة وحدة العلوم ...

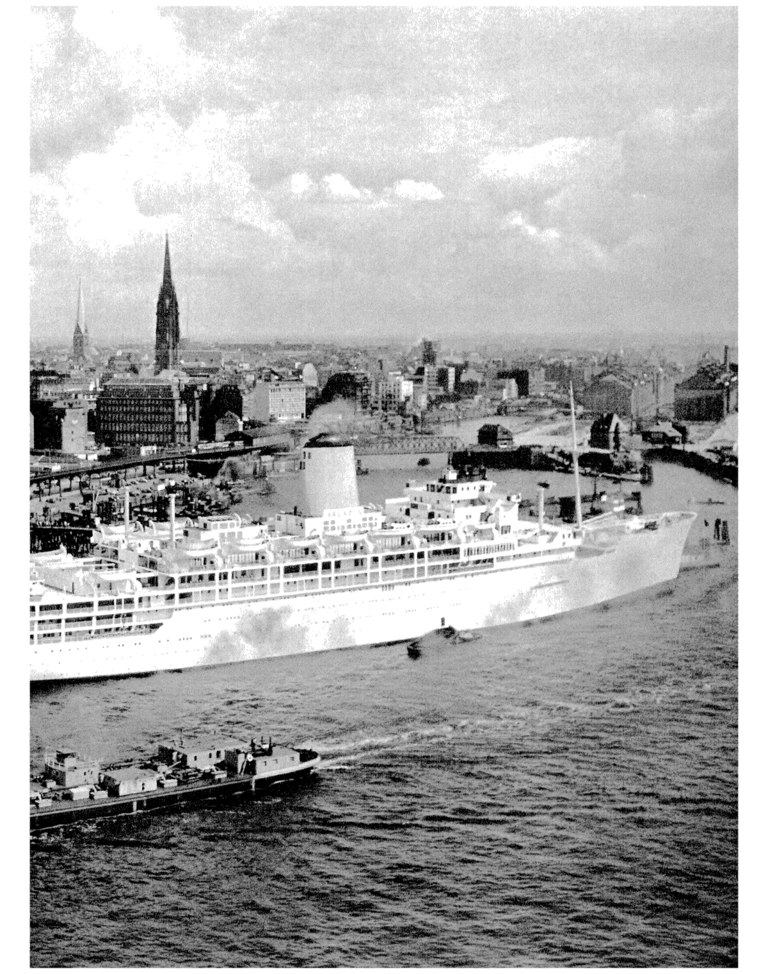
أما التخصص البحت الذى لا ترضى له بعض الجامعات الحديثة بديلا ، والذى ينادى بالتركيز على إجادة فرع واحد من المعرفة دون سواه ، فما أشبهه بالعامل الذى يدرب على أداء عملية جزئية واحدة يقتصر على تكرارها دون أن يدرى شيئا عن شتى العمليات المكملة لها ، حتى إذا شاءت الظروف أن يبدل عمله اتضح له — ربما للوهلة الأولى — أنه قد أضاع ما أضاع من عمره دون أن يتعلم شيئا يذكـر .



مدينة تيوبنجن على النكار؛ تصوير : فريتس ايشن، برلين Neckarpartie in Tübingen

ص ٧٢، ٧٣ : ميناء هامبورج وقد أسس قبل ٧٧٥ سنة؛ تصوير : والتر ليودن، هامبورج Hamburger Hafen

ص ٧٤ : مركز مدينة شتوتجارت؛ تصوير : لودويج ويندشتوسر، شتوتجارت Stadtzentrum Stuttgart







المناورات

بقلم ڤولف ديتريش شنوريه

ولد ڤولف ديتريش شنوريه فى مدينة فرانكفورت الواقعة على نهر الماين وتلخص حياته فيما يلى:
نشأ فى شمال برلين الشرقى . وكانت انطباعات الطفولة فيه فاصلة : حيوان ، طبيعة ، اضطرابات سياسية ، اضرابات ، مدرسة ابتدائية فأخرى ثانوية ، جندى خلال ست سنوات خلت من الرشد . فلما كان عام ١٩٤٥ ، عام الهزيمة الألمانية ، بدأ يكتب ، ثم تزوج وعاش فى برلين .

وذاع صيت شنوريه بقصصه وفصوله ، وظهر فى سنتى ١٩٥٦ و١٩٥٧ ديوانات له فى الشعر . وفى سنة ١٩٥٨ نشر قصته «لما كانت لحية ابى ماتزال حمراء» وفى سنة ١٩٥٩ تاريخ «مصير مدينتنا» . وفى سنة ١٩٦٠ صدر له مجلد يحوى قصصا ويحمل عنوان : «كان ينبغى ان يعارض ذلك» ، ويتضمن قطعا كتبها شنوريه بين سنتى ١٩٤٥ و١٩٤٧ . وتستحضر هذه القطع النثرية الوجيزة المؤثرة زمن ما بعد الحرب ، ولاتزال الى يومنا هذا تعبر عن الواقع المقبض ، لأن الشأن فى كل قصة على حدة يتعلق بأمور اساسية لا مصائر فردية .

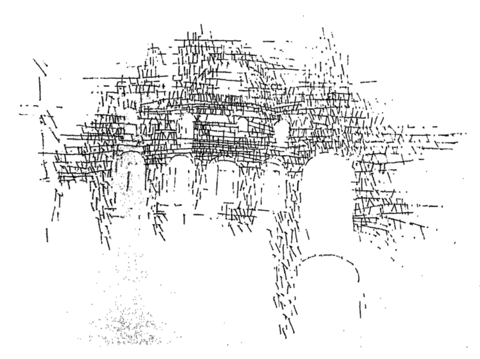
وقد فاز ڤولف ديتريش شنوريه بجائزة ايمرمان لمدينة دسلدورف وجائزة «الجيل الشاب» لمدينة برلين . وقصصه القصيرة «ادب انسانى وسط انقاض القـــــرن» .

كان الجو مشرقا وزوج من البزاة تحوم فى ضوء الشمس ، وفوق البرية تجثم قنابــــــر .
وكان السادة فى حالة نفسية طيبة ، فلم يعد عليهم ان يركبوا طويلا ، ربما ثلاثة ارباع الساعة ، ثم تحولت سيارة الجنرال ، تتبعها السيارات الاخرى مخلفة فى بطء طريق الميدان ، ووقفت عند حافة سلسلة وجيزة من التلال مغروسة بالرتم . وكان كل ما هنا معدا من قبل : مطبخ متنقل للجند يتصاعد منه البخار ، وبائع ممن يبيعونهم يعرض بضاعته ، واسلاك تمد لتوصيلات الميدان ، وكراسى مما يطوى مصفوفة فى دائرة ، ونظارات مقربة معدة يستطاع بها كشف السهل .
وعرض الجنرال اولا خريطة موجزة للعمليات المرسومة ، وكان الجنرال مايزال شابا ، فلعله فى نهاية الاربعين ، مقتضبا ، منددا ، فى لهجة يشوبها سخر خفيف . وكان يتمنى ان يلحظ رجاله ان هذه المناورات فى رأيه مهزلة ، لأنه ينقصها سلاح الجو .
وكان من الصعب الاشراف على ارض المناورات ، ولم يكن من اليسير ان تتحرك الدبابات بين العديد من شجر العرعر ، وفى التلال المختلفة التى تتخللها البرية وينتشر فيها الرتم ، وفى الوديان الصغيرة .
كان النهار قد انتصف «والمراسلات» قد جمعوا اطباق الصفيح بعد ان تناول منها السادة طعامهم ، ومن كل موضع فوق التل تتصاعد سحب زرقاء من لفائف التبغ فى الهواء الساكن ، لما اختلط بصفير القنابر ، وصرير الجداجد الوتير ، قعقعة سلاسل وحدات الدبابات المقتربة من بعيد ، وزمجرة محركاتها المختلفة . فى نفس الوقت رؤيت فى كل مكان من أرض المناورات شجيرات تتحرك لم تلبث ان عادت فاستقرت مع ذلك فوق رقعة الارض ، فليس سوى اسراب طيور الجولدامرات الصاعدة فى قلق هنا وهناك ما كان يوحى بان المشاة يحتلون مراكزهم .
ولعله لم ينقض نصف ساعة واذا بأولى الدبابات تكشفها النظارات المقربة خارجة من بين شجر العرعر ، تتبعها وحدات صغرى من المشاة ، لكنها بادية للعيان . ولم يمض وقت طويل حتى شوهدت من الجانب الاخر مجموعة من الدبابات تعرض صفوفها كلما اقتربت ، متدفقة الى الامام ، فضج الهواء وضاع تغريد القنابر فى الضوضاء ،



نوربرت دركسل Norbert Drexel
مدينة شرقية ١ (مصور على الحجر بلونين)

لكنه كان ينتظر ان يعود لأن القنابر ظلت معلقة فى الهواء فى نفس الوضع الذى كانت عليه ، وكان الجانب المتوارى من المشاة قد اعتصم فى الخنادق فى تلك الاثناء .
وألفى ايضا اولئك الضباط الذين كانوا الى ذلك الحين يقفون جانبا يتولاهم الضجر بعض الشىء — انفسهم مضطرين الآن الى رفع نظاراتهم رويدا رويدا الى اعينهم ، ذلك ان الدبابات اطلقت النيران الآن .
ومرت الدبابات فوق رؤوس وحدات المشاة المخندقين ، فانتظر هؤلاء حتى تجاوزهم معظم الدبابات ، وعندئذ فقط انتقلت جماعة اثر جماعة الى مهاجمة الدبابات كل على حدة ، بمختلف الأسلحة الخاصة ، فوفقت هذه تدافع بنجاح وان تثاقلت بعض الشىء ، وحمى فى المعركة وطيس القتـال .
لكنه لسوء الطالع هبت ريح بغته فاسفت سحب الغبار ، ودخان البارود نحو التل الذى ترابط فوقه قيادة المناورات حتى تعذرت الرؤية بعض الوقت على الضباط ...
وجهد الجنرال فى كبح جماحه حتى لا يلحظ ، ونجح فى هذا بمشقة فقد اغضبه ان تقاومه الريح . وفجأة خف ضجيج القتال على غير انتظار ، ولما مزق هبوب الريح ستار الدخان فى نفس الوقت ، تراءت للضباط صورة غريبة اذ زخر الميدان ، وقد انكمشت ارضه من حركة الكماشة التى ادتها الدبابات الى ما لا يكاد يبلغ الكيلومتر المربع — زخر بقطيع من الاغنام اندفع من الذعر البين الذى يطارده ، زمرا عديدة ، بصورة لا تصدق ، يصدم بعضها بعضا ويذوب بعضها فى بعض متدفقة تتخلل الدبابات .
وكانت الدبابات قد وقفت وعطلت محركاتها ايضا كيلا توقع بالخراف مزيدا من الاضطراب . وسكنت المدرعات بانواعها كذلك ، وامكن ان يرى بالنظارات المقربة كيف ظهرت وجوه الطلعة من الجند من نوافذ الدور القريبة مطلة هنا وهناك ، مأخوذة بهذا المشهد العجيب . وانكشفت ايضا فى هذه اللحظة فتحات ابراج الدبابات مفسحة ايضا لاثنين او ثلاثة من الوجوه الملطخة بالزيت ، المكان .
وبغتة بات الهواء الذى كان من هنيهة مفعما بضجيج المعركة الى درجة الانفجار ، لا يحمل سوى وقع حوافر الالاف وآلاف الآلاف من الخرفان . وهو صوت كأنه دقات طبل هائلة ، جياشة مزعجة فوق الارض اليابسة ، تطلق بين الحين والحين لغطا شبه مختنق .
وبحث الجنرال من حوله عن ضابط مراسلته وقد تبقع وجهه من الغضب ، وكان كلفه باخلاء الميدان . والضابط فى تلك الاثناء ممتقع اللون ، فجعل يتمتم ببضعة اعتذارات عديمة الحيلة ، وكان كل ما استطاع ان يدافع به عن نفسه ، مجهدا فى عسر ، ان زعم



نوربرت دركسل مدينة شرقية ٢ (مصور على الحجر بخمسة الوان)
مطبعة شرول ، ڤينا ، Schroll-Presse, Wien

ان الخراف يمكن ان تكون انسابت من خارج الميدان وحده .
فكظم الجنرال رده مراعاة للأضياف الحاضرين ، ونادى مركز القيادة وامر بصوت يرتعش ان على الخراف ان تختفى فى الحال ، وان على السادة المسئولين ان يصدروا على الفور اوامرهم بذلك . فنظر ضباط القيادة بعضهم الى بعض وقد تبينوا هم ايضا سوء الموقف . لكن كيف يدفعون هذا الفيضان من الخراف التى فقدت صوابها ؟ ووجدوا ان الجنرال قد استهان بهذا الامر . وعلى كل فقد اصدروا الى الجناح الشمالى امرا عاجلا ، وامروا دبابات الجناح الجنوبى فى نفس الوقت بان تشق للاغنام طريقا للخروج املا فى ان ينتظم بهربها الميدان الذى كان مايزال يعج بها وتفشو فيه الفوضى ، فيخلو منها .
ومع ذلك كان الحيوان يخضع لقوانين اخرى فلما قصفت المدافع استولى حقا على القطعان كل بمفرده رعب شديد ، لكن زمرها تجمعت فجأة امام الموضع الذى أمل ان تخرج منه ، وتدفقت وهى اضيع رأسا من ذى قبل الى حيثما امكن — تدفقت ثانية عائدة الى الوادى حيث لقى المشاة القابعون فى حفر الارض كل عناء فى مدافعة حوافر الخراف المرعدة من فوق رؤوسهم .

وعجز الجنرال عندئذ عن ان يكبح جماحه اكثر مما فعل ، فنادى مرة اخرى مركز القيادة ، وصرخ فى محارة التليفون ينذر الضباط المسئولين بانه سيناقشهم الحساب بعد انتهاء المناورات وان عليهم ان يتفضلوا الان بان يلقوا انتباههم الى قطيع الخرفان كيف ينبغى معالجته ، وأنه ، اى الجنرال ، سيريهم الآن كيف تكون . واعتذر على الاثر الى الوفود وامر ضابط مراسلته بان يمثله ، واتجه الى سيارة الجيب فى اسفل المرتفع ، واخترقت به من حيثما امكن ضجيج الاجسام — اجسام الخرفان .
لكن الامر لم يتم مع الجهد على مايرام . فحقا ان البهائم فزعت من الدبابات ، بيد ان سيارة الجنرال كانت بالنسبة لذعرها هينة عليها فما هى الا لحظة حتى كانت مزنوقة بينها ، مشلولة الحركة ، لا تملك تقدما أو تراجعا .
وكان الجنرال ينتوى فى الحقيقة ان يحشد بضع كتائب من المشاة يدفع بعونها جمع الخراف الى تلك النقطة التى ارتآها لخروجها . فالآن لا معدى له عن أن يتبين استحالة ذلك ، لكنه تبين فوق الذى تبين ، انه قد جعل نفسه أضحوكة فقد احس ان الملحقين العسكريين يراقبونه فوق التل بنظاراتهم المقربة ، وتصورهم فى مخيلته يضحكون ويتبادلون شتى النكات ، فاستشاط غضبا على حين بغته .

أفيجعله هزوا .هذا الحشد من البهائم الغبية التى لا تطيع سوى غريزة القطيع وهو الذى اثبت جدارته فى حربين عالميتين وعشرات المعارك ؟

واحس كيف يصعد الدم الى دماغه فصاح بالسائق ان يطلق للسيارة العنان ويتابع المسير ، واطاع السائق ايضا ، والتهمت العجلات نفسها وهى تعوى فوق الأرض الغبراء . بيد ان السيارة لم تتحرك ، اذ كان الضغط الذى يقابلها من قطعان الخرفان المتموجة اقوى من ضغطها . وهنا انتزع الجنرال ، وقد كاد يجن من الغضب جنونه ، غدارته من نطاقه ، وظل يطلقها على القطعان من دون تمييز حتى افرغ خزانتها . وفى نفس اللحظة ارتفعت السيارة من أحد جانبيها شيئا يسيرا ، فترنحت ، وانقلبت وقبل ان يتمكن الجنرال والسائق من ان يلقيا بنفسيهما فى الجهة المقابلة انكفأ الجنرال ببطىء محاذرا تقريبا . وقد تقضت برهة قبل ان يستطيع الجنرال بنجاح كاف ، ان يقى نفسه وطء حوافر الخراف المندفعة فوقه ، ويخلص ساقيه المتألمتين من تحت السيارة . وقد نهض ماخوذا وتلفت من حولـه .

وبدت الدنيا مؤلفة من الخرفان وحدها ، فحيثما امتد البصر تصطف ظهور من الصوف وتبرز دبابات من هذا الفيضان لبنى الحيوان كانها جزر من الصلب قضى عليها بالغرق .

ولاحظ الجنرال آنئذ اول ما لاحظ ان مكانا محدودا ضئيلا خلا من حوله ومن حول السيارة ، وبدا كأن الخراف تقاعست امام شىء ما . وكان الجنرال فى هذه اللحظة يريد ان يلتفت الى السائق فألقاه قد شج راسه واغمى عليه ، وتبين شيئا مايزال موجودا فى الدائرة المسحورة : كبشا هائلا يلهث ، مبهور الانفاس .

وكان يقف هنا بلا حراك ، حانيا راسه المنتفش الصوف بقرنيه الهائلين الملتفين كالقوقع ، قد مال بياض عينيه الى الاحمرار ، وارتعش صدره وقدماه الاماميتان كما لو كانت جميعها تهتز من محرك دائر فى جوفه ، تبدى رقبته ومنبت قرنيه عدة جراح حديثة احدثتها الطلقات ، وتفجر منها دم يكاد يكون فاحم اللون يسيل مسايل ضيقة ويجرى بطيئا فى فروة الصدر .

وعرف الجنرال فى الحال : هذا البهيم قد جرحه هو من قبل ، ولهذا الحيوان يجب ان يصمد الان ، وتلمس جراب غدارته فوجده خاليا ، فخطا الى السيارة محاذرا متحسسا لا يحول نظره عن الكبش ، متمنيا لو ان السيارة كانت بينهما . لكنه ما ان كاد الكبش يرى خصمه يخرج بالحركة عن سكونه حتى اندفع اليه فى وثبتين خفيفتين او ثلاث فألقى الجنرال بنفسه جانبا ، فارتطم رأس الكبش بقاعدة السيارة ، وانتفض ، وحملق لحظة خافضا بصره ، فاقدا وعيـــه .

وخفق قلب الجنرال من الذعر حتى كاد يسمع ضرباته ، واحس كيف ندى جبينه وراحتاه . وتذرى غضبه حتى لم يعد يفكر فى ملاحظات السادة المرابطين فوق التل . كان يفكر فقط : لا يصح ان يقتلنى ، لا يصح ان يقتلنى انه لم يعد الآن جنرال ، بل خوفا مجسما ، سافرا ، مرتعدا ، لم يعد فيه مكان لشىء آخر سوى هذا الخوف .

وانقض الكبش ، فشعر الجنرال بألم طاغ فى امعائه فسقط ، وكذلك بينما كان يخر طعنه الكبش كرة اخرى بقرنيه المشبهين الكتل والقوقع فى بطنه ، فأحس الجنرال كأن شيئا كان يربطه بهذه الارض تمزق ، ثم فقد الرشد .

لم يدر بخلد احد ان الجنرال تتعرض حياته للخطر .

حقا ان بعض رجال الدبابات والضباط المرابطين على تل المناورات كان قـد وقع فى نفوسهم ما يؤلم ، لما ان انقلب الجيب ، ثم انقض الكبش على الجنرال ، لكن احدا لم يخطر بباله ان الكبش يمكن ان يلحق بالجنرال أذى . ومن ثم كان شعور الضباط لا يعدو شيئا من التاثر الغريب ، فحاول بعضهم التفكير فى شىء آخر ، لكن البعض الاخر فكر ايضا ، كيف يمكن الوصول اليه وسط هذا البحر الزاخر بأجسام الحيوان .

وكانت الخرفان انفسها هى التى اعفت السادة من الم العجز عن التصرف وهو ما لم يكن منه بد ، فانه على حين بغتة نشأ بين القطعان التى كانت ماتزال تتلاطم كيفما اتفق شىء من قبيل الدوران المنتظم كان يجذب معه زمرا من الحيوان تزداد عرضا على الدوام ، كأنما قد صدر اليها جميعا امر لا تسمعه الآذان ، حتى خرجت من هذه الدوامة دفعة واحدة موجة هائلة بسطتها فى لحظة ، وتدفقت شرقا ، وهى تشيع الدمار فى الميدان كله من ورائها ، متجهة نحو البرية البراقة حيث اختفى الخرفان فى اوجز مهلة خلف سحابة هائلة محمرة من النقع المثار . فلما وصل ضابط الاتصال مع ضباط مركز القيادة عند السيارة المقلوبة كان رجال الصحة يعاونهم بعض جنود الدبابات قد رفعوا جثة الجنرال فوق نقالة من المعدن الخفيف بسبيل حمله الى الاسعاف . وقد ساعدهم فى ذلك سائق الجنرال .

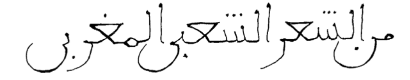
وبدا من غير المناسب ان تستأنف العمليات ، اذ كان على الدبابات فى هذه الحالة ان تعود ثانية الى مراكز البدء فتستهلك بهذا ثلاثة امثال ماكان مقررا لها من بنزين ، فرأى اكبر الضباط ان يأخذ على عاتقه انهاء المناورات بكل بساطة .

وعاد الضباط الى سياراتهم متمهلين وقد خاب املهم وادار الساقة محركاتهم ، وتحرك رتل الجيب رويدا رويدا مارا بالدبابات ، وهى تستدير متثاقلة ، وبكتائب المشاة المتجمعة ، وفى ذيل الرتل سيارة الاسعاف .

ولم يمضى طويل وقت حتى انسحب المشاة ايضا ومن خلفهم المدرعات وبقى فى النهاية مطبخ الميدان الذى حمله جنود المراسلة الكراسى التى تطوى وتبسط بينما فك اثنان من رجال المخابرات ما كانا مداه من اسلاك . وسرعان ما أدى ايضا هذا العمل . وصفر سائق مطبخ الميدان يدعو الجميع فصعدوا يخلفون وراءهم كومة من الرماد رشت بعناية بالماء . ودرج مطبخ الميدان هابطا المنحدر تضبط الكابحات انطلاقه .

وعاود الآن حب الحياة اسراب الطير التى كانت قد غشيت فجأة تل الرتم عند بدء المناورات . فانتفضت ، وتأنقت فى التزين ، واخذت تطير سربا سربا ميممة شطر السهل والوادى الذى كانت القنابر ماتزال جاثمة فيه ، تكاد لا تبدى حراكا ، يختلط تغريدها من جديد بصرير الجداجد ، وطنين النحل ، والصرخة المنتشية التى كان يطلقها زوج البزاة .

ترجمة : محمود دسوقى



ntīn ṣọṛ d-əl-ṛḫām w-āna nsənnəd ɛlīk;

ntīn məjdūl d-əl-ḥrīr w-āna nḥarrəf bīk;

ntīn ḫwīlma d-əd-dhab w-āna qliyyəb[1]*) ɛlīk;*

ntīn səkkīn d-əl-fəḍḍa w-āna nḍṛəb bīk;

u-nəḍāṛbọ b-əd-draɛ u-lli ġləb iddīk[2]*).*

Du bist die Marmormauer, ich stütze mich auf dich,
Du bist ein Seidenschnürchen, ich schlinge dich um mich,
Du bist ein goldnes Ringlein, sein Siegelsteinchen ich,
Du bist ein Schwert aus Silber, ich schwinge es für mich,
Wir schlagen uns — der Sieger nimmt dich mit sich!

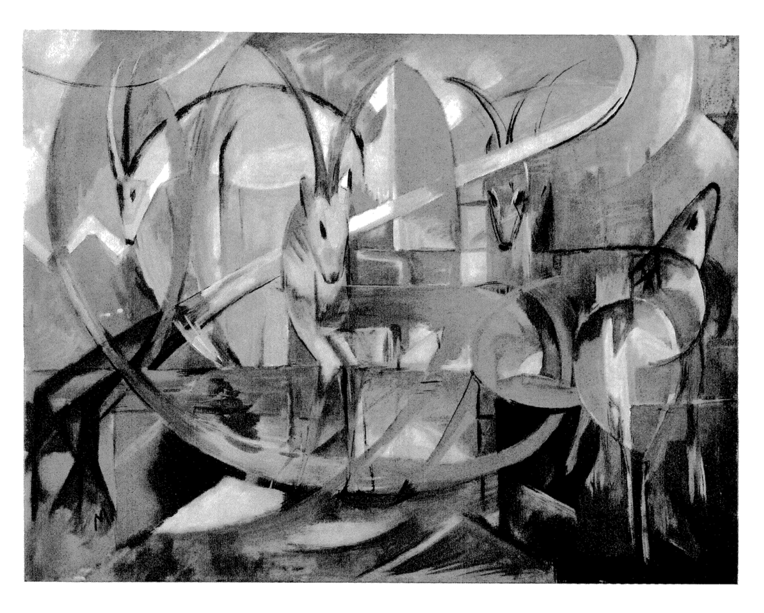
yā-ḫădd-əl-wəṛḍ b-ən-nda yəṣbăḥ məršuš,
nhāṛ-b-nhāṛ ɛyūnək həlkūni[3]*);*
tmənnil-lək ḍāṛ mən-dhəb, ḥẹṭha, mənqūš

u-fṛāšāt d-əl-ḥrīr ɛla-ḍiy-fnūni;

u-təmši l-əl-ḥămmām u-tbāt f-šūni.

O Rosenwange, morgens früh voll Perlen Tau's,
Tagtäglich schickt dein Auge mir das Todeslos.
Ich wünschte dir mit Mauern bunt ein goldnes Haus,
Mit kunstreich schimmernd seidenen, mit Betten groß —
Du gingst ins Bad und ruhtest nachts in meinem Schoß.

Aus: Jeanne Jouin, Nouveaux Poèmes de Fes et Rabat-Salé, Hespéris. — Archives Berbères et Bulletin de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines. Tome XLV, Librairie Larose, Paris, 1958.



غزلان؛ لوحة لفرانس مارك Franz Marc، من مجموعة م. لانجه فى مدينة كريفلد
عن كتاب: Franz Marc, Unteilbares Sein، دار نشر دو مون شاوبرج، كولونيا DuMont-Schauberg, (١٩٥٩). تشكر هذه المجلة دار النشر لتصريحها الكريم بنشر هذه اللوحة.

قال امير خسرو الدهلوى (المتوفى سنة ١٣٢٥) فى الغزلان:

همه آهوان صحرا سرخود نهاده بركف
باميد آنكه روزى بشكار خواهى آمد

Alle Gazellen der Steppe legten den Kopf auf die Hand,
Hoffend, daß du eines Tages kämest und sie erlegst.

Amir Khosrau von Delhi (st. 1325)



اجتمع فى اواخر شهر تشرين الثانى سنة ١٩٦٣ نحو ٣٥ طالبا باكستانيا والمانيا فى بلدة صغيرة فى اواسط المانيا الغربية اسمها ديلنبرج ، وكانت هذه المدينة فى الماضى احد مراكز التأريخ الاوروبى فانها مكان ولادة الامير فيلهلم الساكت الاورانى الذى حرر بلاد الفلمنك من حكم الأسبان وصار بذلك مؤسس دولة هولاندا فى القرن السادس عشر . — اجتمع هؤلاء الطلبة فى دار حذاء البرج العظيم للقصر القديم الذى لعب هذا الدور الكبير فى تأريخ الغرب ، وكان مقصد الاجتماع البحث عن المشاكل التى تهم كل من المانيا والباكستان من وجهة اقتصادية وسياسية وثقافية . وعقد الاجتماع تحت ادارة جمعية تدعى حلقة للاتصالات العالمية بين الطلبة Kreis für Interkontinentale Studentenkontakte
ولم يكن هذا الاجتماع اول ما قامت به هذه الجمعية من الاعمال ولكنه كان مثالا امثل يظهر اغراض الجمعية ومقاصدها .
القى احد الخبراء محاضرة فى تأريخ تطور الاقتصاد والصناعة فى المانيا منذ قرنين ، بين فيها ان الطريق الذى قطعته هذه الدولة لم يكن بسهل بل كان طريقا مليئاً بالمصاعب والمشكلات المعضلة وان المانيا قد احتاجت الى مائتى سنة حتى توصلت الى حالتها الحاضرة ورتبتها المعترف بها من الجبهة الصناعية ، وقال انه لابد من تحمل الصبر والكفاح والعناء الطويل اذا صممت دولة تأسيس صناعة عصرية دون ان يكون بحيازتها الاساس المتين والتقاليد الصناعية العريقة لتشييد هذه الصناعة ، واضاف المحاضر يقول انه من اهم وظائف الدول الاوروبية المجهزة بجميع انواع الآلات اللازمة لتأمين توفيق التطور الصناعى ان تساعد الدول الناهضة لا بآلاتها فحسب بل باخبارها عن تجاربها التأريخية ومشاكلها ، وان لا تكتفى بارسال المساعدات المالية بل تبعث بعمال ذوى نية حسنة يرغبون فى المساعدة وافادة الدول الاخرى ، ومن المهم كذلك ان يفهم طلبة الجامعات والمعاهد الذين يقصدون بلادنا طريقة حياتنا ويدركوا الاساس الروحانى للوضع الحاضر . — وبعد ذلك القى سفير المانيا السابق فى الباكستان خطبة فى الضيوف الالمان شارحا الوضع الراهن العقد فى الباكستان ، وفى المساء كان الطلبة المشتركين فى الاجتماع ضيوفا لدى عائلات المانية فى مدينة ديلنبرج ، وكان لهذه الضيافة تأثير كبير فى تقوية العلاقات بين القومين .
فى يوم السبت ٣٠ تشرين الثانى القى احد اعضاء وزارة الخارجية الالمانية محاضرة حول المشاكل السياسية الالمانية الحاضرة وتباحث الحاضرون مدة طويلة عن مسألة توحيد المانيا . واخبر سفير الباكستان السامعين عن الوضعية الاقتصادية فى الباكستان .
ثم قدمت الاستاذة انا مارى شيمل بعد الظهر بحثا علميا عن محمد اقبال الشاعر الفيلسوف الباكستانى وعلاقاته الروحية بالثقافة الالمانية ، وقام السيد خالد على من سفارة الباكستان بتقديم نبذة عن تطور الادب الاردوى حاز على انتباه الضيوف الالمان.
ولم ينحصر الاجتماع على تبادل الاراء وسماع المحاضرات والبحوث بل زار الضيوف ايضا بعض المصانع فى ضواحى ديلنبرج ، وكانت هذه المنطقة مشهورة منذ عصور بمصانعها الصغيرة فى الجبال المحيطة عثر على معدن الحديد وصنعت منه صفائح حديدية وآلات صغيرة ومسامير وما يشبه ذلك . ولاحظ الطلبة ان كثيرا من الاعمال فى هذه المصانع تتم على يد الانسان ، لا بالآلات الاوتوماتيكية وادركوا ان هذه المصانع الصغيرة هى نوى الصناعة الكبيرة وأسس المصانع العظيمة التى لا يمكن تطورها الا على اساس هذه المعامل التى كانت بعضها ملك عائلة واحدة منذ قرنين او اكثر . وفى يوم الاحد اختتم الاجتماع بحضور جوقة موسيقية قامت بها اوركسترا المانية ذات شهرة واسعة وتمتع بها كل من سمعها .
وما كان هذا الاجتماع — كما ذكرنا سابقا — اول الاجتماعات والسفرات التى نظمتها الجمعية المذكورة بل كانت قد نظمت قبل ذلك اجتماعات لطلاب من مصر والسودان وايران والهند وغيرها . ومقصدها الاسمى هو تقديم المساعدة للطلبة على فهم الشعب الالمانى وعقليته ، لا فى المدن فحسب بل فى القرى ، وإتاحة الفرصة للطلبة ليجدوا اصدقاء بين طبقات الشعب كلها وان يدركوا ان الصناعة الحاضرة والتطور الفنى واسسه الثقافية لم يزل مرتبطا بعضه ببعض ، ولذلك قامت باجراء مباحث قيمة عن القومية وتأريخها فى الغرب والشرق ، وعن تحويل الاقتصاد من المرحلة الزراعية الى المرحلة الصناعية ، وعن خصوصيات النظام الديموقراطى ، وعن حرية الافكار... ورافق اعضاء الجمعية الطلاب فى سفرهم الى مراكز الصناعة الكبيرة فى منطقة رور كما زاروا ايضا ضيعات كبيرة وصغيرة وشاهدوا طرق الحياة هناك . اشترك مثلا فى زيارة المزارع والضياع فى ولاية هيسن ١٥ طالبا سودانيا يدرسون الزراعة والبيطرة فى جامعات المانيا ؛ ومن الجانب الاخر عرضت الجمعية



على الطلبة التعرف على بعض نواحى الحياة الالمانية الدينية والثقافية ، منها تمثيلية لعيد الميلاد يرجع تاريخها الى القرون الوسطى ، وقام بتمثيلها يوم عيد الميلاد تلامذة مدرسة ثانوية ليلية فى احدى القرى . من المرغوب فيه ان يدرك ضيوفنا قيم الحضارة الالمانية حتى يتمكنوا من تقدير قيم حضاراتهم الوطنية العريقة بعد رجوعهم الى اوطانهم ولا يقلدون الظواهر الخارجية الباهرة للمدنية الاوروبية . فان اعضاء الجمعية لمعتقدون بان الحضارة والثقافة الموروثتين لها اهميتها العظمى عند انشاء مجتمع جديد ، بيد ان بعض الاشكال التى اشتملت على القيم الثقافية فيما قبل قد غابت وصارت مفقودة ، وعلى الانسان فى العالم بأسره ان يبحث عن هذه القيم ويجدها ويحفظها لا فى الغشاء القديم البالى بل يجريها فى قنوات جديدة تناسب واجبات عصرنا هذا .

لقد اجاد الفيلسوف الكبير كارل ياسپرس Jaspers فى مكتوبه الذى بعث به الى رئيس الجمعية ، الدكتور كريجر ، قائلا فيه :

«مهما فعلنا فاننا بحاجة إلى بذل المزيد من الجهود لإتاحة فرصة الاتصال بين الأفراد من جميع أنحاء المعمورة كى يتعارفوا ويتحدثوا إلى بعضهم البعض . ولإن صدق ذلك فانه يصدق بالدرجة الأولى على معشر الطلبة .

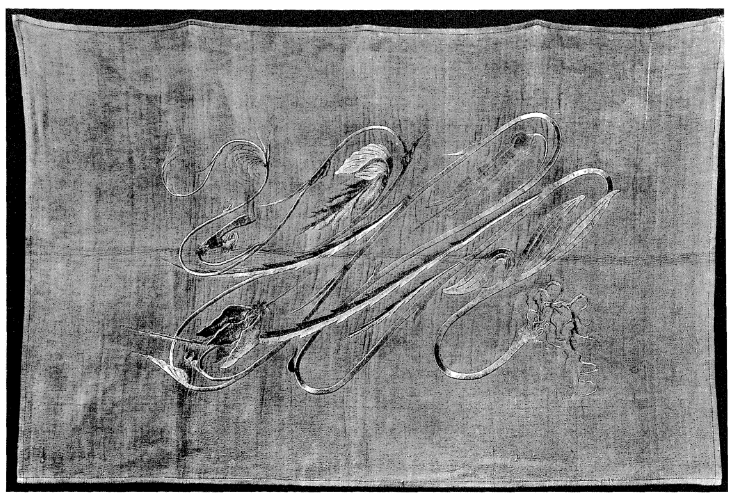
فمن الطلبة ننتظر قدرا عاليا من تقدير كل ما من شأنه أن يساعد على التفاهم المتبادل أو يسعى إلى تحقيقه . ولعل ذلك يتأتى عن طريق : الاحجام عن إصدار الأحكام طالما أننا لم نخبر موضوعاتها عن كثب ، ومحاولة الدرس والاستيعاب عن طريق التفكير الجدى والبحث الطويل النقدى ، ثم استبعاد الأفكار الهزيلة العشوائية والعمل بصبر على كشفها أمام أعين الآخرين ، والاستعداد الدائم لسماع كل ما هو غريب وتمحيص كل ما هو ذاتى ، وعدم الإقبال على إعلان رأى على الملء إن لم يكن يضم جديدا يستحق القول ! وإقرار حقوق الانسان وحب الشعوب فى أفضل صفاتها وسماتها ، على ألا نخدع بالحقائق التى لن تلبث أن تتبدل .. وعدم القيام بالدعاية الوطنية المتحيزة ، بل البحث عن الحقائق العامة المشتركة بين كافة الأمم والشعوب .

وإنى لأحيى جميع المشتركين فى هذه الحلقة المعقودة من أجل توطيد العلاقات الدولية ، وأبعث إليهم بأطيب تمنياتى القلبية . كما أرجو أن تكون هذه الخطوة الصغيرة بمثابة بدء السبيل نحو تبادل وجهات النظر فى حديث شامل يجمع كبار أهل الفكر والعلم فى العالم أجمع* . أجل ، إن هذا الطريق الطويل الرائع الذى يتمثل فيه تقرير المصير ، قد عرف بدايته فى عصرنا الحالى .»

(إمضاء)

كارل ياسپرس

* «يقول المثل العربى فى هذا الصدد: إن أول الغيث قطرة!»



هرمان ابرست: (١٨٦٣–١٩٢٧) Hermann Obrist: بخور مريم (مصنوع عام ١٨٩٥) معلقة حائط بها غرز حريرية؛ مستعارة من المتحف التاريخى لمدينة ميونيخ

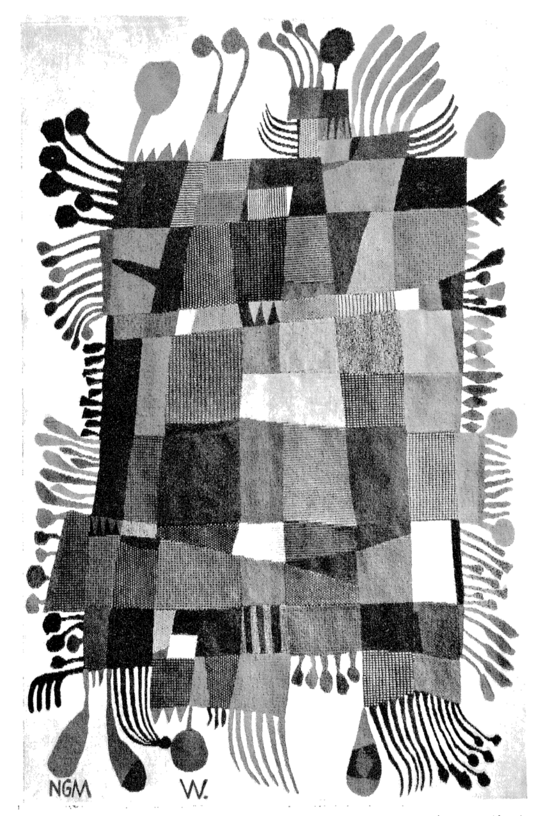
كانت الحياكة من اقدم الصناعات فى تأريخ بنى آدم، وتوجد مشابهات كثيرة بين الطرز الشرقى والطرز الغربى، حتى انه يوجد فنون ورسوم مشتركة فى العالم باسره. وكثيرا ما اتخذ الشعراء مثال الحياكة و النسج فى اشعارهم حتى ان مولانا الرومى الشاعر المتصوف يصف حال العاشق الذى «ينسج من دمه ودموعه اطلس وديباجا ليفرش اطلس وديباجا تحت قدمى معشوقه . . .»

اطلس وديباج بافد عاشق از خون جگر
تاكشد در پاى معشوق اطلس وديباج را

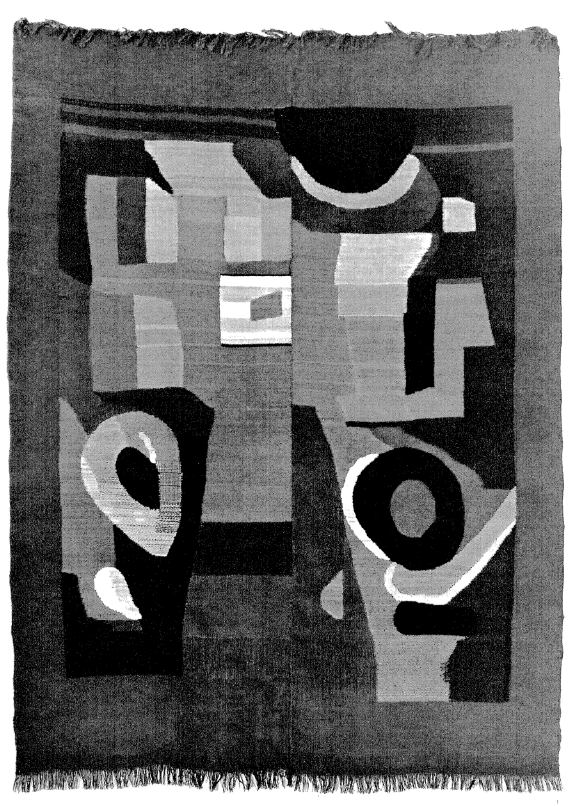
Der Liebende webt Atlas reich aus seinem Blute und Brokat,
Daß unter des Geliebten Fuß er Atlas breite und Brokat.

معرض «السجاد العصرى للحائط فى المانيا»

قام الحكومة الالمانية بمعرض «السجاد العصر للحائط فى المانيا» فى القاهرة فى شهر كانون‌الثانى سنة **١٩٦٤** حيث عرض **٤٤** سجادة معقودة و منسوجة وهى من مصنوعات مشاهير الفنانين والفنانات منذ عدة سنوات. ونجد فى هذا الفن اليدوى الحديث ارتباطا روحيا بالفنون الحديثة فى بلاد العرب يذكرنا بما رأيناه فى معرض «سجاجيد بالصور من الحرانية» الذى قام به الاستاذ ويصا واصف فى ميونيخ، خريف سنة ١٩٦٢.



جرهارد فندلاند (ولد سنة ١٩١٠) Gerhard Wendland: نسيج ، ١٩٦١. مصنوعات جوبلان فى نورنبرج: Nürnberger Gobelin-Manufaktur



فوتى. فرنر: (ولدت عام ١٩٠٣) Woty Werner منظر رعوى، ١٩٥٤. مستعار من «المجموعة الجديدة» فى ميونيخ .



WOLFGANG BORCHERT · ABSCHIED · وداع .. · *AYRILIŞ*

Das war ein letzter Kuss am Kai —
vorbei.

Stromabwärts und dem Meere zu
fährst du.

Ein rotes und ein grünes Licht
entfernen sich . . .

Bir son öpüştü rıhtımda —
kaldı ardımda.

Akıntıdan yana, denizlere yolun
gidiyorsun.

Bir kırmızı, bir yeşil ışıktır,
uzaklaşır.

كانت قبلة أخيره
على رصيف الميناء.. لالقاء.

وانحدرا..
مع التيار.. فى قلب البحار..

شعاع نور أحمر
وشعاع نور أخضر يفترقان..

Tercüme: Behcet Necatigil ترجمة : مجدى يوسف

SALAH BIRSEL · HACIVATS FRAU

Eines Tages wird Kamer Hanım
Wieder an ihre Jugend denken —
Leise krampft sich ihr Herz zusammen —
Dann wird sie die Schritte zur Küche lenken,

Während sie Eier in einer Schüssel rührt
Wird ihre Haare sie langsam lösen,
Zucker wird leise am Herdrand brodeln,
Werden Erinnrungen scharenweis kommen . . .

Wenn in der Küche sich Kuchendüfte verbreiten,
Wird auch sie ihren Körper strecken
Wird einen Teller vom Küchenbort nehmen
„Hacivat hat mich doch auch mal geliebt“ wird
[sie sagen.

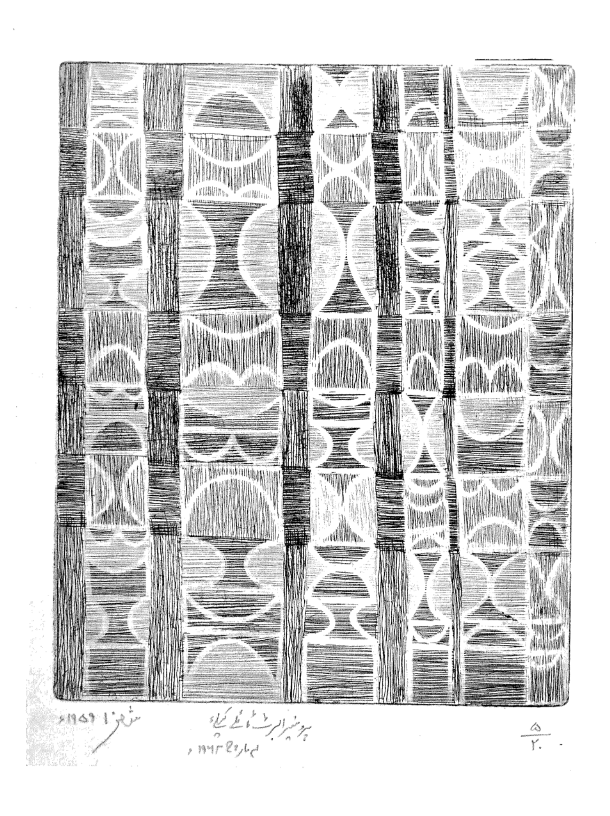
Eines Tages wird Kamer Hanım
Fortwährend Kuchen backen . . .

Gün gelecek Kamer hanım
Gençligini düşünecek
Hafifçe daralacak kalbi
Mutfağa doğru gidecek

Yumurtayı çırparken kâsede
Durup saçlarını çözecek
Şurup kaynayacak bir kenarda
Hâtıralar üşüşecek

Ve yayıldıkça mutfağa çörek kokusu
O da endamini gerecek
Bir tabak alacak raftan
Hacivat beni de sevmişti sahi deyecek

Gün gelecek Kamer hanım
Boyuna çörek pişirecek



لوحة للرسام الباكستانى «شمزا»، فى سنة ١٩٥٩

من شعر اقبال

Drei Reichen des Geistes gehört Sir Muhammad Ikbal an, drei Reiche des Geistes sind Quellen seines gewaltigen Werkes: die Welt Indiens, die Welt des Islam und die des abendländischen Denkens.

Ein Moslem indischer Abstammung, geschult am Koran, am Vedanta und an der persisch-arabischen Mystik, aber auch stark berührt von der Problematik westlicher Philosophie und mit Bergson und Nietzsche vertraut, führt uns in ansteigenden Spiralen durch die Provinzen seines Kosmos.

Nicht Mystiker mehr, ist er doch von Rumi geweiht. Nicht Hegelianer noch Bergsonianer mehr, ist er dennoch spekulativer Philosoph geblieben.

Seine Kraftquelle aber liegt anderswo, im Religiösen, im Glauben. Ikbal ist ein Frommer, einer, der sich Gott geweiht hat, doch ist sein Glaube nicht ein kindlicher; er ist ganz männlich, glühend, kämpferisch. Und sein Kampf ist nicht nur ein Ringen um Gott, sondern auch ein Ringen um die Welt. Denn Ikbals Glaube erhebt durchaus den Anspruch auf Katholizität. Sein Traum ist eine in Allahs Namen und Dienst geeinigte Menschheit.

Den geistigen Morgenlandfahrern wird nicht die umfassende Bildung und nuancenreiche Spekulationslust Ikbals das Wichtigste und Große an diesem mächtigen Geiste sein, sondern seine dichterische Liebes- und Gestaltungskraft. Sie werden ihn um seiner Herzensglut und um seiner Bilderwelt willen verehren und sein Werk als den ost-westlichen Diwan lieben.

Hermann Hesse

Aus: Sir Muhammad Ikbal, Buch der Ewigkeit, Max Hueber Verlag, München 1957.

ان سير محمد اقبال ينتمى الى ثلاثة احياز روحية ، احياز الروح الثلاثة هذه هى منابع اثره العظيم : وهى حيز العالم الهندى ، وحيز العالم الاسلامى ، وحيز الفكر الغربى .

مسلم ، هندى الاصل ، مثقف بالقرآن ، وبالفدانتا وبالتصوف الايرانى ـ العربى ، وفى الوقت نفسه واقع تحت تاثير الفلسفة الغربية ومشاكلها المعقدة قرأ وفهم برجسون ونيتشه : يقودنا فى ممرات لولبية ترتفع شيئاً فشيئاً داخل مناطق عالمه الخاص. ليس متصوفا بعد ، ومع ذلك فأن مولانا الرومى هو الذى كرسه ، ولا ينتمى بعد الى اتباع هيجل او برجسون ، ومع ذلك فلم يزل فيلسوفاً نظرياً .

غير ان ينبوع قوته يقع فى مضمار اخر : فى التدين والايمان . وان اقبال لتقى وهو انسان قد نذر نفسه لله ؛ ولكن ايمانه ليس ايمان الاطفال بل ايمان الرجال ، ايمان مشتعل ، مجاهد . وجهاده ليس كفاحاً عن الله فحسب بل كفاحا عن العالم ايضا ، فان عقيدة اقبال تدعى انها موجهة للجميع ، وامنية احلامه هى انسانية متحدة باسم الله وتحت خدمته .

اما الذين يسيحون روحاً الى المشرق ، فلا يعلقون الاهمية الكبرى على ثقافة اقبال الشاملة ولا على محبته للتعمق بالافكار ذات الالوان الكثيرة بل على قوته الشعرية ، قوة العشق وقوة النظم ، وسيبجلونه لاجل حرارة قلبه وعالم رموزه وسيحبون اثاره كالديوان الشرقى ـــ الغربى .

برثغورِ این جهانِ چون و چند — بود مردے با صدائے دردمند!

دیدهٔ او از عقابان تیزتر — طلعتِ او شاہدِ سوزِ جگر!

دمبدم سوزِ درونِ او فزود — بر لبش بیتے کہ صد بارش سرود!

"نہ جبریلے نہ فردوسے نہ حورے نے خداوندے

کفِ خاکے کہ می سوزد ز جانِ آرزومندے!"

من بہ رومی گفتم این دیوانہ کیست؟ — گفت "این فرزانۂ المانوی ست

در میانِ این دو عالم جائے اوست — نغمۂ دیرینہ اندر نائے اوست!

باز این حلاجِ بے دار و رسن — نوعِ دیگر گفتہ آن حرفِ کہن!

حرفِ او بے باک و افکارش عظیم — غربیان از تیغِ گفتارش دو نیم!

ہم نشین بر جذبۂ او پے نبرد — بندۂ مجذوب را مجنون شمرد!

عاقلان از عشق و مستی بے نصیب! — نبضِ او دادند در دستِ طبیب!

با پزشکان چیست غیر از ریو و رنگ — وائے مجذوبے کہ زاد اندر فرنگ!

ابنِ سینا بر بیاضے دل نہد — رگ زند یا حبِّ خواب آور دہد

بود حلاجے بشہرِ خود غریب

جان ز ملا برد و کشت او را طبیب!

مردِ رہ دانے نبود اندر فرنگ — پس فزون شد نغمہ اش از تارِ چنگ!

JENSEITS DER SPHÄREN · DER ORT DES DEUTSCHEN PHILOSOPHEN NIETZSCHE

Am Grenzwall dieser Welt des „Was“, „Wieviel“
Erschien ein Mann mit schmerzensvollem Laut.
Sein Blick war schärfer als des Falken Blick,

Sein Antlitz zeugte von des Herzens Brand.
In jedem Nu wuchs seines Glühens Strahl,
Nur einen Vers, er sang ihn hundertmal:

„Nicht Gabriel, nicht Paradies, nicht Huris, ach und auch nicht Gott —
Nur eine Handvoll Staub, entbrannt von einer Seele sehnsuchtsvoll!“

Ich sprach zu Rumi: „Wer ist der Besess'ne?“
Er sprach zu mir: „Er ist ein deutscher Weiser;
Sein Standort ist inmitten beider Welten;
Ein langes Lied liegt noch in seinen Saiten.

Denn er ist Halladsch ohn Strick und Galgen,
Hat neu gesprochen jene alten Worte!
Sein Wort ist ohn Fehl, tief sein Gedanke,
Sein Wortschwert spaltete entzwei die Westler.
Die Nachbarn wußten nicht, was ihn entrückte,
Und als Verrückter galt nun der Verzückte.
Vernünft'ge, ohne Teil an Rausch und Liebe,
Sie gaben seinen Puls in Arztes Hand!
Was kommt von Ärzten außer Heuchelei?
Weh dem Entrückten, der im West geboren!
Sein Herz schreibt auf's Rezept ihm Avicenna,
Läßt ihn zur Ader, gibt Beruhigungspillen. —

Er war Halladsch, im eignen Lande fremd,
Entkam den Pfaffen, fand beim Arzt den Tod.

راهرو را کس نشان از ره نداد — صد خلل در وارداتِ او فتاد!
نقد بود و کس عیارِ او نکرد — کاردانے مردِ کارِ او نکرد!
عاشقے در آهِ خود گم گشته‌ئے — سالکے در راهِ خود گم گشته‌ئے!
مستیِ او هر زجاجے را شکست — از خدا ببرید و هم از خود گسست!
خواست تا بیند بچشمِ ظاهری — اختلاطِ قاهری با دلبری!
خواست تا از آب و گل آید برون — خوشه‌ئے کز کشتِ دل آید برون!
آنچه او جوید مقامِ کبریاست — این مقام از عقل و حکمت ماوراست
زندگی شرحِ اشاراتِ خودی است — لا و الّا از مقاماتِ خودی است!

او بہ لا درماند و تا الّا نرفت — از مقامِ عبدُہٗ بیگانہ رفت!
با تجلی ہمکنار و بے خبر — دور تر چون میوه از بیخِ شجر
چشمِ او جز رویتِ آدم نخواست — نعرهٔ بے باکانہ زد آدم کجاست!
ورنہ او از خاکیان بیزار بود — مثلِ موسیٰ طالبِ دیدار بود! ق
کاش بودے در زمانِ احمدے — تا رسیدے بر سرورِ سرمدے
عقلِ او با خویشتن در گفتگوست — تو رهِ خود رو کہ راهِ خود نکوست!

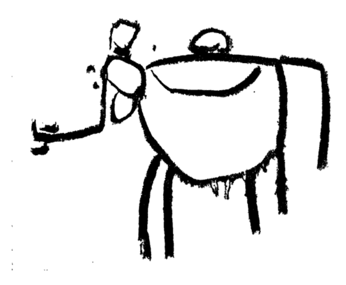
پیش نہ گامے کہ آمد آن مقام
کاندرو بے حرف می روید کلام!

Nicht einer in Europa kannt' die Pfade,
Und lauter schwoll das Lied aus seinen Saiten.
Und keiner wies dem Wandernden den Weg —
Ihn trafen hundert Unglücksfälle, Schläge!
Er war wie Bargeld — keiner wog ihn aus;
Er wußte, was zu tun, und konnt' nicht handeln!
Ein Liebender, in seinem Ach verwirrt!
Ein Wanderer, in seinem Weg verirrt!
In seinem Rausch zerschlug er jedes Glas,

Er trennte sich von Gott, zugleich vom Selbst.
Er wollte mit dem äußern Auge sehen,
Wie Gottes Macht und Lieblichkeit sich mischt.
Er wollte, daß aus Lehm und Wasser wachse
Das Korn, das nur im Herzenssaatfeld keimt.
Was er gesucht, war Ort der Gottesmacht.
Und dieser Ort liegt jenseits der Vernunft.

Das Leben kommentiert des Ich's Symbole —
„Keiner" — „Als Er" sind nur des Ich's Stationen.
Er kam vom „Kein Gott" nicht zum „außer Ihm"
Und wußte nicht den Sinn des Worts „Sein Diener".
So nah an seinem Glanz, doch ohne Kunde,
Noch ferner als die Frucht vom Wurzelgrunde.
Sein Auge wollte nur den Menschen schauen —
„Wo ist der Mensch?" so rief er unablässig.
Sonst hätte er die Irdischen verlassen,
Um, Mose gleich, die Schau des Herrn zu fassen!
Ach, hätte er in Ahmeds Zeit gelebt,
Daß er gelangt zur ew'gen Freude wär!
Doch sein Verstand spricht immer nur mit sich —.
Geh deinen Weg, der besser ist für dich!
Vorwärts den Fuß! Wir nahen jenem Ort
In welchem ohne Stimme wächst das Wort!"





الرسم الذى ابدعته سياه گل

سياه گل، الفتاة الافغانية



سياه گل*

فى عصر أحد الأيام دعوت ابنة خادمنا التى لم تعد ربيعها العاشر إلى تناول الشاى معى ، إذ كنت أريد أن أرسمها . إلا أن «سياه گل» — هذا هو اسمها — بدت للوهلة الأولى جزعة مضطربة ، مما جعلنى أعرض عليها أن تبدأ هى برسم أى شيء ! وفضضت قرطاسا أمامها ثم أعطيتها قطعة من الفحم استقبلتها بريبة واضحة ، وطلبت منها مستعينا ببعض الاشارات أن تتخذ منى نموذجا ترسمه ! ولكنها هزت رأسها علامة الرفض . عندئذ عدت أعرض عليها نموذجا آخر ، وكان هذه المرة فيلا من البرونز ، فقبلت أن ترسمه . وهنا راحت تصوره بخطوط واضحة تماما ، فبدأت بخرطومه ثم رأسه وجسمه وقدميه وذيله وأخيرا أذنيه . أما العينان فقد رسمتهما فى وضع موازللرأس الضخم وبعزلة عنه فى نفس الوقت ! وعلى نفس النهج خطت نابيه العاجيين بحيث أصبحا فى وضع موازلخرطوم الفيل دون أن يكونا على اتصال به ! وكم كان إعجابى بالنتيجة التى آلت إليها لوحة «سياه گل» بعد أن أصبحت تنطق بالمرح والانطلاق من قيود الواقع ! ثم جاء دورى بعد ذلك ، ولم يأت إنتاجى فى نصف جمال الرسم الذى أبدعته «سياه گل» . ولكن ذلك لم يرجع وحسب إلى أن صغيرتنا كانت منطلقة بخيالها أثناء الرسم ، وإنما أيضا لأنها لم تستطيع أن تجلس بلا حركة دائبة لمجرد عشر دقائق !

كابل (افغانستان) فى التاسع من شهر مارس عام ١٩٦٠
(حدث ذلك عندما كنت فى السابعة عشرة من عمرى)

مارتينا شميد-هوركس
Martina Schmidt-Horex

* أى الوردة السوداء بالفارسية.

طلائع الكتب

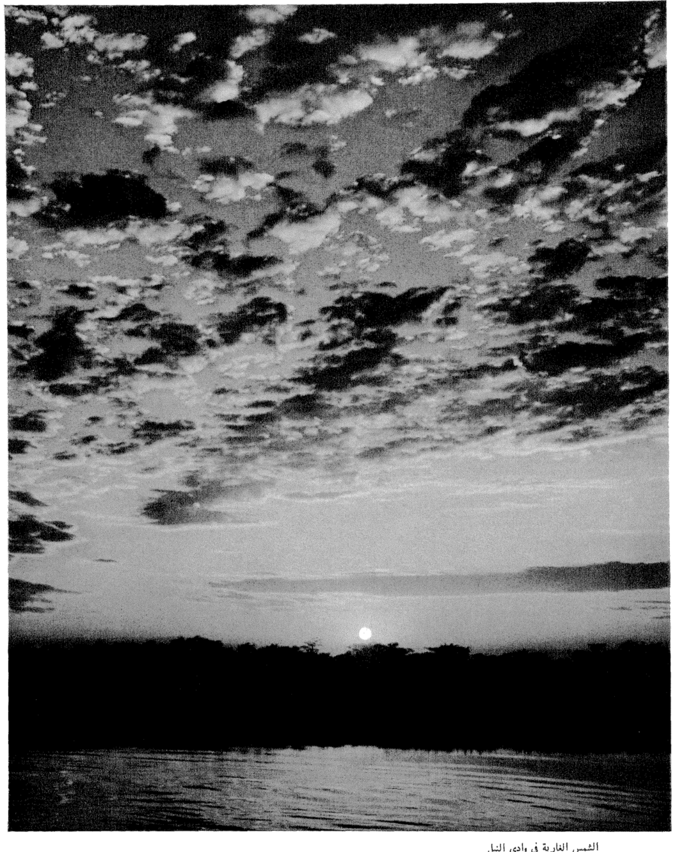
IBN AL-MU'TAZZ · DER BÜCHERWURM

Ich weine nicht um die verwaisten Fluren,
vergangner Feste unvergessne Spuren..
Die Jugend floh, die Liebste schied — mein Klagen
gilt Schwererem allein, das mich geschlagen.
Fern von der Welt, von Menschen abgeschieden,
in sicherm Wall, vor ihrer Schmach in Frieden,
getrost in dem, der mir mein Leben fristet,
leb ich — ein Mann, den's nie nach Macht gelüstet.
Was kümmert's mich, ob Wünsche sich versäumten,
was andre tun, was andre sich erträumten?
Mir ist allein dies Heft hier von Gewichte:
Jurisprudenz, Heilsweisheit und Gedichte...
Bei diesem Werk verdien ich keinen Tadel,
bei ihm verspiel ich nicht der Seele Adel.
Ich lieb dies Heft, so leicht, so unbeschwerlich,
das wie ein weiser Ratsherr unentbehrlich!
Zuweiln seh ich sein weißes Haar beim Blättern
und schwarze Augen blitzen aus den Lettern.
In meiner Hand geht dieser Rat auf Reisen
von ihr läßt er das Reiseziel sich weisen,
macht ohne sie Quartier an keinem Orte —
der hohe Rat für Taten und für Worte!
Er lehrt den Sinn, nicht rechts, nicht links zu schwanken,
erinnert die vergessenen Gedanken —
Trefflicher Reden nimmermüder Reigen!
Doch bin ich's müde, gleich weiß er zu schweigen.
Die Schnörkel schwarz verbergen sich im Buche:
Der Rat entschreitet im bestickten Tuche. —
So sinnvoll war mein Sein, so ausgeglichen,
bis jener böse Wurm sich eingeschlichen,
sich mästet an des Rates Adjuvanten,
sich bohrt durch Manuskripte, Folianten,
ja in die Gründe selbst des gnadenvollen
göttlichen Buches eingräbt lange Stollen,
ein Adernetz von Gängen sich errichtet
aus Lehm und Wasser, sorgsam abgedichtet,
und Früchte frißt des Geistes kluger Männer —
da steh ich nun, Gelehrter einst und Kenner,
steh tatenlos und machtlos, ach für immer
entschwand das alte Wissen aus dem Zimmer!
O tiefes Leid! — Was blieb von all den Schätzen,
vom Wurm zernagt? — Ein Hügel Staub und Fetzen!

Übersetzt von Christoph Bürgel

ابن المعتز . قال فى ارضة وقعت فى كتبه

لم ابك ربعاً مقفراً ولا طلل
ولا شباباً حان منه مرتحل
ولا حبيباً قطع الوصل ومل
لكن لعظم حادث بى قد نزل
كنت آمرءا من الانام معتزل
علىّ ستر دون ذمى منسدل
على الذى يملك رزقى متكل
لا راجياً لدولة من الدول
ولا اخاف اجلا على امل
شغلى اذا ما كان للناس شغل
دفتر فقه او حديث او غزل
لا عابنى ولا يرى منى زلل
وان مللت قربه منى اعتزل
ارقط ذو لون كشيب المكتهل
تخاله مكتحلا وما اكتحل
راكب كف اينما شاءت رحل
ولا يحل موضعاً حتى تحل
وهو دليل لمقال وعمل
يقيم وزن العقل حتى يعتدل
ويذكر الناسى ما كان افل
كأنه ينشر عن رقم الحلل
يخاطب اللحظ بنطق لا يكل
ولا يمل صاحباً حتى يمل
فدب فيهن دبيب قد اكل
عصا سليمان فظل منجدل
يبنى انابيب له فيها سبل
بالماء والطين وما فيها بلل
مثل العروق لا ترى فيها خلل
يأكل اثمار العقول لا اكل
حتى ترى العالم مهجور المحل
يعود وقافاً وقد كان بطل
قد فاته العلم القديم فانخزل
فاودع القلب هموماً تشتعل
وصيّر الكتب سحيقا منسحل .



الشمس الغاربة فى وادى النيل
تصوير: هنريت جرندا، لوزان Henriette Grindat.

عن: هانس كرامر و اوتو ماتشوس: Hans Kramer und Otto Mattschoss: Farben in Kultur und Leben
دار نشر ارنست باتنبرج Ernst Battenberg (شتوتجارت ١٩٦٣). نشكر دار النشر لانعامها علينا بكليشة هذه اللوحة.

Rudi Paret, Der Koran. W. Kohlhammer Verlag, Stuttgart 1963.

Die seit langem angekündigte leicht kommentierte Übersetzung des Korans durch den Tübinger Ordinarius für Islamwissenschaft liegt jetzt in den beiden ersten Lieferungen (bis Sura 22 Vers 23) vor; sie ist auf vier Lieferungen berechnet und wird 1966 vollständig sein; dann wird noch ein Kommentarband folgen. Es besteht kein Zweifel, daß wir es hier mit einer außerordentlich gründlichen Arbeit zu tun haben, die Zeugnis ablegt von der jahrelangen intensiven Beschäftigung des Übersetzers mit dem Koran; er bemüht sich, durch viele in Klammern hinzugefügte Zusätze den oft sprunghaften Übergang von einem Gedanken zum andern für den Leser leichter zu machen, wie es überhaupt sein Anliegen ist, einen Text herzustellen, der ebenso glatt lesbar (unter Verzicht auf typisch semitische Stilformen) wie verständlich ist. Hier erhebt sich freilich die Frage, ob eine solche glättende Übersetzung nicht doch zu viel von dem Charakter des Korans verwischt — einen Eindruck von der gewaltigen sprachlichen Kraft, die dieses Buch auszeichnet, gibt sie jedenfalls nicht; Worte aus der Alltagssprache, wie „aushecken" „süffiges Getränk", „Junge" scheinen doch zumindest bedenklich zu sein. Aber eine Erörterung dieses Problems würde auf grundsätzliche Fragen der Übersetzungskunst hinauslaufen. Wir hoffen jedenfalls, daß die Paretsche Koranübersetzung neues Verständnis für den Koran in weiten Kreisen erwecken wird.

G. E. von Grunebaum, Der Islam im Mittelalter. Bibliothek des Morgenlandes, Artemis-Verlag, Zürich und Stuttgart 1963.

Der „Bibliothek des Morgenlandes" wird aufs glücklichste eröffnet durch das umfassende Werk Professor von Grunebaums, der hier den Ertrag jahrzehntelanger Studien vorlegt. Dem Leser tut sich ein großer Reichtum von Informationen über die kulturelle und soziologische Situation der islamischen Welt im Mittelalter auf; die Querverbindungen zur byzantinischen und lateinischen Welt wie die Eigenheiten der Lebensformen werden ebenso an Hand reichsten Quellenmaterials dargelegt wie die Ausprägungen des sehr typisch muslimischen Lebensgefühls in der Literatur, in der persönlichen Frömmigkeit. Die soziologischen Aspekte — so oft vernachlässigt in der Geschichtsschreibung — geben dem Werk sein besonderes Gewicht. Vom Leser wird nicht nur eine fundierte Kenntnis der islamischen Geschichte erwartet, sondern auch intensive geistige Mitarbeit verlangt, die durch reichen Gewinn belohnt wird. Die zahlreichen Noten und Exkurse leiten zu weiterer Vertiefung der Kenntnisse hin. Dem gelehrten Verfasser gebührt der Dank aller, die sich mit orientalischer Geistesgeschichte des Mittelalters befassen.

Matthias Schramm: Ibn al-Hayṯams Weg zur Physik. Wiesbaden, Franz Steiner Verlag, 1963.

In einem 348 Seiten starken Werk analysiert Matthias Schramm den Weg, den der durch seine optischen Untersuchungen berühmte arabische Gelehrte Ibn al-Haytham (965 bis kurz nach 1039) genommen hat, um von der griechischen Metaphysik zu einer Physik im heutigen Sinne des Wortes zu gelangen. Er beweist dabei aufgrund einer sorgfältigen Untersuchung der griechischen Tradition wie der arabischen Quellen, daß sich Ibn al-Haytham (im Abendland als al-Hazen seit dem Mittelalter bekannt und bewundert) durch seine sorgfältigen Experimente, in denen er die höchstmögliche technische Perfektion anstrebte, auf ganz neue Wege begab. Seine Untersuchungen über das Mondlicht führten ihn zu dem Schluß, daß Licht und Farbe identisch seien, und um seine Behauptungen zu beweisen, erfand er die camera obscura. — Das äußerst gründliche und gelehrte Werk, das eine Fundgrube für den Historiker der Naturwissenschaften ist, gelangt auch zu einer Chronologie von Ibn al-Haythams optischen Schriften, deren mustergültige Analyse Mustafa Nazif (1943) verdankt wird. Indices aller Fachausdrücke (griechisch, lateinisch, arabisch) und der zitierten Autoren beschließen das wertvolle Werk, das unsere Kenntnis von der arabischen Naturwissenschaft um vieles vertieft hat und ihre wichtige Rolle dem Leser aufs deutlichste vor Augen führt.

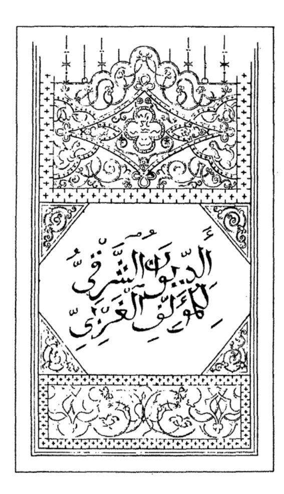
Al Ghazali, Der Pfad der Gottesdiener, übersetzt und erläutert von Ernst Bannerth. (Reihe Wort und Antwort, Bd. 33, Begegnung der Religionen. Otto Müller Verlag, Salzburg 1964.

Jede neue Übersetzung aus dem Werk des großen islamischen Theologen al-Ghazali wird dem religiös interessierten Abendländern wichtig sein, und wir sind deshalb Ernst Bannerth dankbar, daß er sich der Mühe unterzogen hat, den minhāg al-ʿābidīn in deutscher Übersetzung vorzulegen. Obgleich die Echtheit dieses Werkes in Zweifel gezogen worden ist, ist in ihr zumindest sehr viel echt Ghazali'sches Gedankengut vorhanden, und sie gibt in jedem Fall eine ausgezeichnete Einführung in das Geistesleben der gemäßigten Mystiker des Hochmittelalters.





Stuttgard,
in der Cottaischen Buchhandlung
1819.



العنوان وهو منحوت على النحاس بالطبعة الاولى للديوان الشرقى الغربى لجويته المنشور فى سنة ١٨١٩ ؛ ويوجد نسخة ملونة واحدة من هذا النحت ، وهى فى الكتاب الذى اهداه الشاعر لصديقه سولپيز بواسيرى . (متحف جويته ، فى مدينة دوسلدورف.)

Die Übersetzung liest sich angenehm und gibt einen guten Eindruck von dem Ernst und der Tiefe der islamischen Frömmigkeit. Wir glauben, daß diese Übersetzung einen wirklichen Dienst zum besseren Kennenlernen des Islams leisten kann und wünschen ihr weite Verbreitung.

Von *Johann Ludwig Burckhardt's* „*Reisen in Arabien*" erschien in Leinen ein unveränderter Neudruck der einzigen deutschen Ausgabe (Weimar, 1830) bei *F. A. Brockhaus, Abtlg. Antiquariat, Stuttgart* (1963) zum Preise von DM 65.—.

Das Werk (744 Seiten, eine Karte und vier Grundrisse) enthält den Bericht eines der ersten Europäer, die Mekka und Medina besuchten.

Der Autor (Scheik Ibrahim), geboren in Lausanne 1784, ist eine der großen Persönlichkeiten, die der berühmten Baseler Patrizierfamilie entstammen. Seine Forschungen im Nahen Osten und in Afrika und besonders sein Besuch von Mekka und Medina in den Jahren 1814 und 1815 gelten als Großtaten jener Zeit. Seine Schilderungen sind ein Dokument von größter Bedeutung für die geographische Wissenschaft und für Kulturgeschichte und politische Geschichte Arabiens sowie für die Erforschung seiner Tier- und Pflanzenwelt und seiner alten Bauwerke.





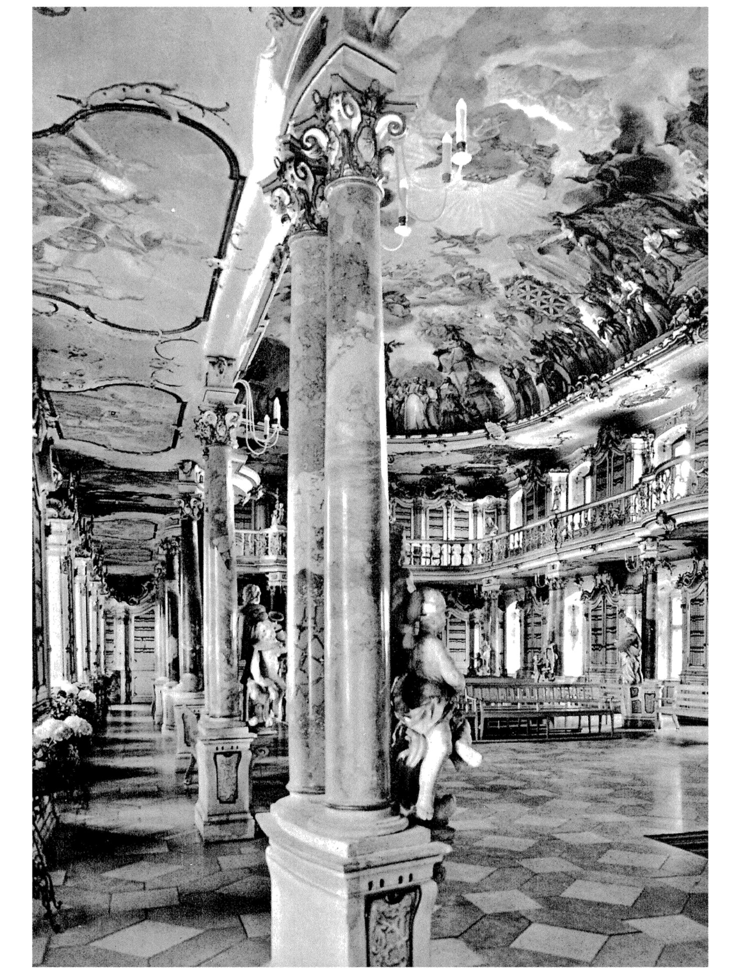
خزفان مزينان بالميناء، موطنها الاصلى مدينة رى بايران وقد صنع حوالى عام ١٢٠٠ م.

قد عثر فى منطقة رى على الكثير من الخزف والكؤوس المزينة باشكال البازدارية والفرسان ويوجد العديد من هذة النماذج المصنوعة فى القرن الثالث عشر والمعروفة بجمال الوانها فى المتاحف الغربية؛ وقد ظلت اثار هذا الفن فى الصنعة الايرانية حتى القرن الثامن عشر.
ولاول وقت نرى تصوير الباز والبازدارية فى خزف نيشابورى من القرن العاشر وبعد ذلك فى فنون العصر الفاطمى فى مصر، ومن ذلك خزف ذو بريق معدنى محفوظ فى المتحف الاسلامى بالقاهرة، وابريق من البلور محفور عليه باز يطارد الغزال، والطرز المذكور يوجد ايضا فى الآنية النحاسية المرصعة بالفضة والذهب التى كانت قد صنعت فى الموصل والشام فى اثناء القرن الثالث عشر.

هتان اللوحتان مأخوذتان عن كتاب ٠١ كيونل Ernst Kühnel, Islamische Kleinkunst
دار نشر كلينكهارد وبرمان، براونشوايج ١٩٦٣ Klinckhardt und Biermann، وتشكر هذه المجلة دار النشر التى أنعمت علينا بكليشة هاتين اللوحتين.



مكتبة الدير فى شوسنريد Schussenried فى اقليم ڤورتمبرج، جنوبى المانيا؛ ◀
أنشأها دومينيكوس تسيمرمان (١٦٨٥ الى ١٧٦٦) Dominikus Zimmermann



FIKRUN WA FANN



4

ÜBERSEE-VERLAG · HAMBURG 36